



مذكرة

لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع

تخصص: انترولوجية حضرية

الموسومة ب:

الوعدة:

الطقوس و ممارستها بين المقدس و المدنس
- و عدة سيدي بوتخيل بالعين الصفراء ولاية - النعامة
نموذجا

تحت إشراف:

- عبد القادر لقجع

من إعداد الطالب:

- محمد أمين بن ويس

أعضاء لجنة المناقشة:

جامعة وهران 2	مشرفا و مقرا	لقجع عبد القادر
جامعة وهران 2	مناقشا و رئيسا	سويح مهدي
جامعة وهران 2	مناقشة	قناوي يمينة

2017/2016

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى الوالدين الغاليين اللذان وقفوا
إلى جانبي على رغم المسافة و الهجرة إلى العلم ابتعادا عنهم

دائما

واللذان ساعداني لإكمال هذا العمل ماديا و معنويا

والى أفراد العائلة بكل اسم منهم

و كل الأصدقاء سواء الذين هم في الوطن أو خارجه

كما أوجه شكري الى رئيس المشروع الدكتور عبد القادر لقعج

الذي منحني فرصة المشاركة في مشروع الأنتروبولوجيا

الحضارية

و إلى كل الأساتذة و طلبة ماستر الأنتروبولوجيا الحضارية

الفهرس

رقم الصفحة

العنوان

01 مقدمة عامة
03 الفرضيات
03 الموقع الجغرافي
05 منهج البحث
	الفصل الأول: الوصف
08 تمهيد
09 1. طلاء مقام الولي الصالح (التجيار)
12 2. الليلة التي تسبق دعاء الختام
15 3. دور المرأة في الوعدة
17 4. الوليمة و دعاء الختام (رفيد المعروف)
19 5. الفلكلور (لعبة البارود و الخيل)
	الفصل الثاني: الفهم و التحليل
23 1. تاريخ و نسب الشرف لأولاد العارف بالله سيدي بوتخيل
24 1.1 الروحي للطريقة الصوفية القادرية (عبد القادر الجيلاني)
26 2.1 نسب و أصل الولي الصالح سيدي بوتخيل " الشجرة " و انتشار طريقته ...
32 3.1 بزوغ فجر زاوية الدخيل و ازدهارها " الطريقة القادرية "
33 4.1 الصراع و أساس بناء مدينة العين الصفراء
37 2. مقتطفات عن وعدة ركب سيد الشيخ
40 3. المدرسة الكولنيالية و تفسيرها لطقوس الوعدة
41 1.3 الوعدة و الممارسات و المعتقدات ما قبل الأسلمة بالمثال
43 2.3 الوعدة و الممارسات و المعتقدات بعد الأسلمة بالمثال
46 الاستنتاجات
47 العلامات و الأدلالت
50 نتائج الدراسة
53 الخاتمة
	الملاحق

المقدمة العامة:

تعتبر الوعدة من المواضيع التي عولجت من طرف العلوم الإنسانية، وبانتسابي لهذه العلوم، أردت أن أخوض غمار هذا الموضوع من الناحية الأنثروبولوجيا، ليكون لي فضل أول من سيدرس وعدة سيدي بدخيل القادري، وكما قال كلود ليفي ستروس " إذا كانت الأنثروبولوجيا في المجتمع، فإن المجتمع في الأنثروبولوجيا" من هذا القول لا بد علي أن أتبنى المنهج الأنثروبولوجي، لأن أغلب الدراسات السسيولوجية أو التاريخية لم تفهم المجتمع الجزائري بشكل وقدر كافٍ، وهذا ما ترجمه جمال غريد حول فشل علم الاجتماع في فهم الديناميكية المتحك للمجتمع. أصبحت المقاربة الأنثروبولوجيا أكثر من ضرورة لفهم الواقع الاجتماعي، لهذا أعطت الجامعة الجزائرية أهمية للأنثروبولوجيا، وعلى حسب ما قاله بالونديه¹: "لفهم الواقع لا بد من تبني الأنثروبولوجيا فهي تسمح لنا بالغوص في الأعماق والتعرف عليه في خباياه من خلال مستواه الواقعي اللارسمي".

لقد عرفت الجزائر عدة تحولات بعد الاستقلال وذلك في التقاقم وتطور المجتمع وتحول كل ما هو ريفي إلى ما هو حضري، وكذا صيرورة التحضر التي أنت بنظم اجتماعية وسلوكيات جديدة داخل الجماعات، وهذا على حسب تفسير للتحضر، ومن هنا لا بد علي أن أقوم بدراسة المجتمع المحلي لمنطقة عين الصفراء - ولاية النعامة- بحكم أنها تقتصر على ممارسة ما يعرف بالوعدة "وعدة سيدي بودخيل الشريف"،

¹ - Georges Blondi, Sem et puissamment Ed, per-F Paris 2ein E18B -1981

وكما عرف الأنتروبولوجيون أمثال مالينوفسكي² Malinovski وكلود
وفيس تروس Cloud levis Strauss كيف يقومون بدراسة مجتمعاتهم
بتبني دراسة الشعوب البدائية وهذا ما خول لي أن أدرس طقوس الوعدة بين
ما هو مقدس وما هو مدنس.

و على هذا الأساس فان النظر إلى طقوس الوعدة لبدا لنا أن نعود إلى
تاريخها و متى كان زمن انطلاقها وما هي الأسباب و الظروف التي
جعلتها تتوارث من جيل إلى جيل على الرغم من تغير الظروف الاقتصادية
و الاجتماعية وسياسية و الثقافية في المجتمع المحلي لقصر سيدي بوتخيل
تعتبر وعدة سيدي بوتخيل واحدة من الوعدات التي برزة بالخصوص
منطقة العين الصفراء التقليدية القديمة إذ من خلالها يتم تحضير الولايم
اعتقادا من نحن أصحابها بأنها تصل إلى روحه الطاهرة و من هنا لبدا أن
نعرف تاريخ العارف بالله "سيدي بوتخيل" الذي تقام له هذه الوعدة من أين
ينحدر؟ ما هي أصوله؟ و ما هي طريقته الصوفية؟ لكي نكون منصفين
ونعرف طبعة هذه الوعدة تمتلاتها و ممارساتها تشبه وعدات تلك المنطقة
أم تختلف باختلاف أصول هذا الولي الصالح.

وبعد بلوغ الإنسان نوعا من التقدم و التحضر في مجالات البشرية وثقافية
و حتى العقائدية بالخصوص انه بدأت تتأصل بعض العديد من العادات و
الطقوس المتوارث بين الأجيال ضمن الكيان الممرساتي المعبر بقدر ما
عن هوية و الرابطة بمعالم الأجداد أصبحت الممارسات لبعض الطقوس
والعادات والاحتفالات الوعدة وقد عبرت بصفة أو بأخرى عن ولادة إسلام
معيشي أو إسلام طريقي أو إسلام شعبي التي ميزة الإنسان الشعبي بفضاء

² - Malinovski Bromirlove-Les argumentes des pocijiaue oscillent, Paris Edition erelltreud 1963 p 63

الولي الصالح والمرابطين وهذا ما يعرف بالمقدس بالعموم فما هي
مزات المقدس في الوعدة و كيف يكون شكلها أو بالأحرى ما هي التمثلات
الممارسات التي تجسيد صورة المقدس.

وإذ على بعض التعريفات "للوعدة من الناحية الأنتروبولوجية تتعدد
للوصول إلى ما يعرف بالمدنس في الوعدة باصي روني³ R. Basset
"طقس الوعدة طقس اعتقادي يقام حول قبور الأولياء الشعبيين ويتضمن
قرايين ويرتبط في جذوره بطقوس الفلاحية كما يتضمن أثار العبادة
الطبيعية و بالموتة و اعادت الحياة من واليها النبات كما عرفها ألفريد بال
A. bel⁴ بـ "الحج و الحفلات التشفعية و المسمات حسبهم بالوعدة "

وبهذا التعريفين نستنتج أنه ليس للوعدة ممارسات مقدس وهذا لبدا لنا أن
نعرف المدنس في طقوس الوعدة وتقريب الصورة ليفهم الآخر ولا يظن
أن الوعدة هي أمر مقدس فقط وإنما هنالك ممارسات أخرى محصورة في
المدنس وبهذا لبدا لنا أن نعرف المدنس في طقوس الوعدة وتقريب
الصورة ليفهم الآخر ولا يظن أن الوعدة هي الأمور المقدسة فقط.

الفرضيات:

³ - باصي روني. أبحاث في الدين الأمازيغي. مذكرة بوشمة عبد الهدي ص 84.

⁴ - BEL Alfred « islam mystique » revue Africaine n69-op-cit-pp74.

ف1: بعد هذا التساؤل و ما لحظته في هذه الوعدة هناك عدت الاختلافات تشهدنا طقوس و الممارسات على غرار الوعدت المجاورة للولي الصالح سيدي بوتخيل.

ف2: المقدس في وعدة سيدي بوتخيل هي تلك البركة التي يحض بها أهل المنطقة من كرم و حسن النية وحب الآخرين و القداس تتمثل في العرق الشرف بالخصوص وقوة التمسك بالطريقة القادرية والولي الصالح سيدي بوتخيل.

ف3: أما عن المدنس في هذه الوعدة يتمثل في الفلكلور و لعبة الفنطازيا التي تعبر عن أمور خفية على حسب المعتقد الفكري لأفراد المنطقة ومنها تكشف على الصراع الموجود في المنطقة بين أفراد القبائل و الإثنيات.

الموقع الجغرافي للدراسة:

تقع منطقة البحث في مدينة عين الصفراء، وبالخصوص في حي قصر سيدي بودخيل الجيلاني القادري، المعروفة بحي قصر العتيق والعربي الوحيد في المنطقة.

تقع مدينة عين الصفراء في الجنوب الغربي للجزائر، منطقة الهضاب العليا، يحدها شمالا كل من: عاصمة الولاية النعامة والمشربية، وجنوبا مغرار وولاية بشار، وشرقا كل من: تيبوت، عسلة وولاية البيض، وغربا صفيصيفة والمملكة المغربية.

أما عن الولي الصالح سيدي بودخيل فينحدر من عائلة شريفة، معروف بالزهد والورع الديني وكذا البركة والتنقل والتناسب مع الولاية الصالحي في المنطقة (سيدي أحمد المجدوب). وهذه الوعدة تعقد كل عام في شهر أكتوبر ومواكب لصيرورة الوعدت في المنطقة بالعموم.

منهج البحث:

أريدت بهذا البحث حول وعدة سيدي بودخيل أن أعتد على المنهج الأنتروبولوجي الذي عرفه كليمون⁵ Clément: على أنه الهندسة التي تقوم بوظيفة التعبير عن المجتمع في تنظيمه الاجتماعي ونظامه الرمزي واعتمدت كذلك على التقنيات النوعية التي تتناسب مع موضوعنا والتي تساعدني على فهم وتفسير مختلف التصورات والمتمثلات و الممارسات الفردية للمجتمع المحل لمنطقة العين الصفراء.

وعلى حسب ما قاله غاستن باشلار⁶ Gaston Bachelard: "إن الفصل الاجتماعي لا يوجد في الواقع ولكن يتم نزعها من الواقع الإمبريقي ثم يتم بناؤه والتحقق منه" ومن هذا القول كان عليا القيام بأول خطوة إجرائية والمتمثلة في إجراء المقابلات الاستطلاعية لأن هذه المرحلة تعتبر أول مرحلة في البحث، وكذلك يسمح لنا بوضع القطيعة مع الأحكام المسبقة.

ولا بد من القيام كذلك بالاستطلاع النظري للموضوع، وفيه اعتمدت على القراءات (الكتب والمراجع) وكذا الصور وحتى الأفلام التي تتعلق بموضوع دراستي، وذلك قصد إطراء الرصيد المعرفي وعدم الوقوع في التكرار.

و باعتبار أن بعض الأنتروبولوجيين الجزائريين أمثال " أحمد بن نعوم" قد تم له أن درس الوعدة (ركب لبيض سيد شيخ) كان لبد عليا أن أعود إلى أطروحاته في هذا الخصوص وقوة الأسطورة التي تتيح لي الغوص و

⁵ - Clément Ales, Architecture et anthropologie, in espaces des autres, paris les editoin de la villette1987 P20. LAKJAA ABDELKADAR

⁶ - Gaston Bachelard, la formation de l'esprit scientifique, paris, librairie philosophique, 1965.

الاستفادة منها مع العلم أن الولي صالح سيدي بوتخيل يتواجد له ضريح في تلك المنطقة و بالضبط في منطقة الرباوات زاوية سيدي بوتخيل.

وباعتبار أن الدراسات الأنثروبولوجية تتميز بثقل المنهج الوصفي فقامت بعملية الوصف باعتماد على تقنية الوصف لأنها تمدني بالكثير من التفاصيل المولودة والمنتجة من الواقع الموجود في طقوس والتي لها صلة وطيدة مع الواقع الباطني التي لا يعبر عنه في أغلب الأحيان.

باعتبار الانثروبولوجيا تعتمد على الاحتكاك و الاقتراب في دراستها أكثر من الدراسات السوسولوجية فكان لبد عليا أن أعتمد و أستند على الملاحظة بالمشاركة، ولكوني فردا أنتمي إلى منطقة البحث، فإن الملاحظة التي اعتمدت عليها هي تلك التي قمت بها (ملاحظة بالمشاركة) مع أفراد منطقتي و العالقة في ذاكرتي، أو تمتد في فترة زمانية معينة، وكل هذا يسمح لي بالمقارنة الكاملة لواقع البحث تجعلني أقرأ الواقع الاجتماعي.و كذلك أطوار تطورها من سنة إلى أخرى وكما قال ليفيس تروس levis⁷: "عندما يقتصر الباحث على مجتمع واحد يسمح له بقيام بعمل ثمين".

لقد قمت باختيار عين الصفراء و وعدة سيدي بودخيل كنموذج لدراستي، وهذا بحكم معرفتي الجيدة للمنطقة وحتى تاريخها، وأكثر من ذلك، أنتمي إلى عرش الولي الصالح سيدي بودخيل، وهذا ما سيجعلني أميز تلك التغيرات التي طرأت على هذه الوعدة في مقدسها ومدنسها.

وبحكم معرفتي بأفرادها، أختار مُخبري ليس بطريقة عشوائية، بل اخترتهم انطلاقا من العلاقات الجيدة والوطيدة معهم "الذين يمارسون هذا

⁷ - لفي ستروس. الأناسة البنيوية. ترجمة حسن قيس. المغرب. المركز الثقافي العربي. ط1995 ص24.

النوع من الوعدة المقدس والمدنس". ثم اختياري لتسعة مخبرين وهم الخال الكريم وهو تاجر مقابل مقام الولي . و عمي بن علي شيخ و صاحب مفاتيح باب المقام و عمي بتخيل مرید لطريق القادرية و عبد الصمد تاجر و مرید الطريقة القادرية كدالك الوالدين الكريمين و عبد السلام يلعب البارود و منضم لفرقة نجاوة و فراجي يلعب البارود و مختص في الموسيقى الفلكورية مع فرقة نجاوة عمي مرسل ي لعب الفنتازيا بالأحصنة و عبد الرحيم طالب جامعي يلعب الفنتازيا و الأحصنة و الجياد الغالية و أختها أطال الله في عمرهما في البداية وفي المرحلة الاستطلاعية استعملت معهم تقنية المقبلات الحرة و قمت بعدا ذلك باستعمال المقبلات نصف موجهة.

و سبق لأن أشرة بالاقتناس من المدرسة الكولونيالية الفرنسية أو الجزائرية ونذكر من هؤلاء أدمن دوتي douté و ورنى باصي R.Basset و ألفريد بال A.Bel نجاهم يشتركون في نفس المنطلق . و من ناحية اختياري لهؤلاء الرواد هو مرتبط أساسا بمقاربتهم لطقوس الوعدة . و من جهة أخرى لحصولي على دراسات و أعمال هؤلاء من مذكرة "طقوس الوعدة في الجزائر " لطالب بوشمة الهادي.

تمهيد:

"يتميز جو العين الصفراء بصفاء لا يضاهي علو الجبال شمش و جمال المنظر تمنح لهذا القصر طابعا خاص جدا .واكثر إدهاشا أننا لكي نبلغه نظر لقطع صحراء طويلة و مملة .هذه المنطقة من القصور التي أطلق عليها سويسرا الجهة الوهرانية تترك انطباعا لن ينسى من المواقع الجذابة وساحرة " هذا ما كتبه⁸ ف .ريستون سنة 1890 وهو صحفي قد جاء لإجراء ربورتاج اندهش بعد سفر طويل في الهضاب العليا الرتيبة .فجأة وجد نفسه أمام مشهد مدهش ونادر .

مجرى وادي عريض يعلوه قصر أشقر يحاط به غطاء نباتي كثيف على سفح كثبان رملية ضخمة يعلوها هي الأخرى جبال عال .إن في هذا الموقع ومنذ ما يربو عن أربعة قرون جاءت الشرفى أولاد صالح سيدي أبو دخيل وهو كذلك من درية سدي عبد القادر الجيلاني بعد عدة رحلات و مغامرات.

ومن هذا الصدد سأقوم بوصف و سرد لكم إحياء و عدة هذا الولي الصالح و ما يعرف بوعدة " البوتخليين " وسأركز في وصفي على بعض الطقوس مقدسها و مدنسها وسأقرب للقارئ الصورة لكي يفهم معنى هذه الوعدة تمثلاتها و ممارستها.

وعلى حسب ما درسته في أيام التكوينية مع أستاذي **لقجع عبد القادر** وكذا من الأستاذ **جرادي** و من ما أطلعت عليه من ما كتب عن أستاذ **ميساوي** لطقوس الحفل هناك خمسة توابل وهي كالتالي التجيار . علم المقام . البارود . الطعام . الوليمة . وعلى حسب ما عشته من هذه الوعدة و معدات

⁸ - ما قاله ف .ريستون . كتاب نسب الاشراف و شرفة الجنوب الغربي خليفي بن عمارة . مكتبة النصر العين صفراء . ص 113.

منطقة العين الصفراء و ولاية البيض فهناك اختلاف في الممارسات ولو بشكل طفيف.

و إذا عدنا إلى الاختلاف فهو حتما يعود إلى تلك الطرق الصوفية المختلفة التي تشهدها المنطقة وخاصة الطريقتين الصوفيتين " القادرية " و "الشاذلية".

وعلى هد الأساس سأحاول أن أقرب لكم المنظور من الوصف المباشر و البت الحي من ذكرياتي السابقة وما عيشته في الوعدات ومن هنا سأقف أمام ستة محطات لطقوس التي تمارس في هذه الوعدة ضنا مني أنها تقرب لنا مفهوم الوعدة والديناميكية التي يعيشها الفرد في قمة الروحانية الوعدة و التغير الحالة الذهنية لممارسيها بتلاعب بين المقدس و المدنس والمحطات هي كالتالي: يوم طلاء المقام (التجيار)، ليلة المعروف، دور المرأة في الوعدة، الوليمة و دعاء ختام الوعدة، الفلكلور البارود و الخيل.

1. وصف طلاء مقام الولي الصالح التجيار:

بتاريخ 27 أكتوبر من كل سنة تقام و عدة سيدي بوتخيل الجيلاني القادري الشريف مواكب لوعدات الصالحين في المنطق وبتحديد في يوم 27/10/2016 كان لي وقفة و مشاركة في هذه الوعدة بعدم ممارسة طقوسها لعدة مرات لانتمائي لعرش هذا الولي الصالح * بوتخيلي * ومن منطقة العين الصفراء ولكن هذه المرة كان لي الغوص في أعماقها وعيشت كل حدث يرمز لشيء في هذه الوعدة طبعا ببساطا هو البحث في خبايا هذه الوعدة . إذ إن هذه الوعدة تدوم يومين إلى ثلاث أيام اليوم الأول كان قبل الوعدة أي التحضير لها 27/10/2016 تنطلق عملية الطلاء حيث أنا و مجموعة من الشباب قمنا بعملية الطلاء بالجير و بعض الطلاء الكلسي لمقام الولي و تحت ترديد عبارات التقدير و الانتماء و الولاء لهذا الولي " سيدي بوتخيل شاي الله به" و " سيدي بوتخيل جيناك زاين " .

يا شيخ سيدي بوتخيل في عارك راني

غيتني تتفاجى لمحان ياضي عيالي

يا شيخ سيدي بوتخيل بعلمك نرضي

يا رمز الحضري بعلمك نرضي

وبهذه الأبيات تتفنن الأيدي بالطلاء وكلنا شغف في أكمل العمل في وقته المحدد وذلك لتحقيق الأسطورة القائلة أنه من يكمل عمله في وقته المحدد فانه فعلا من الأشراف وانتماء لعرق ها الولي الصالح أي ببسط يسمى*
بوتخيلي * فعلا إذ تتطلق الأيدي من الثامنة صباحا في تجيار فكان لصديقي ورفيقي بمثبت المعين لي في هذا الصرح المفعم بالعمال و الروحانية*⁹عبد الصمد وهو يقول لي ياخويا تحساب رانا بيد وحده و نكمل لخدمة في وقتها* عبارة تجعلك تحاول التأمل فيها.
نبدأ بتلوين محيط الباب و أعمدة باللون الأخضر الآخرون يطلون الجدران التي تحيط بالمقام و حضيرته بالجير الأبيض اعتقاد من نحن أصحابها بأنها تمدنا بالبركة العام الجيد و الناصع البياض أما القبة نطلوها باللون الأخضر و للإشارة كانت تطلى باللون الأبيض قديما إلا أنها تغيرت لون القبة أخضر الكل يشارك في طلائها، الكل يشارك، كل يعرف دوره الكل يحاول مساعدة صديقه . هواية الطلاء تغطي على المكان ويقال لك* عقد النية* نية التسامح وحب الآخرين، إن هذا العمل يجعلك تتكهن بالعام الصالح و بصفاء القلوب بين أفراد هذه المنطقة أما عن الطعام و الشاي فهذه هوايتنا تقريبا كل جيران الولي يخرجوا لنا الطعام و لكن لمحاولة إكمال العمل في وقته لبد علينا أن لا نأكل كثيرا إلا بالوقت الطلاء هو دليل

⁹ - المخبر رقم 1 انظر قائمة المخبرين في الملاحق.

على¹⁰ رمز المحبة و الأخوة وهذا يعد أمرا مقدسا في قالب المدنس
ترفع رأسك و تبئسم وتتوه في غيابات هذا النوع من الطقوس يؤكد لك أنك
لن تتخاصم ولن يصيبك مكروه لن تعادي أحدا ولن يعاديك بعد هذا اليوم
من السنة من الأسطورة المؤكدة في هذا النوع من الطقوس أنهينا العمل في
وقته معترف لنا من الأهل المنطقة و المقربون بالخصوص للولي الصالح
سيدي بوتخيل بأننا بوتخليين ويقال لك* أنت بوتخيلي مقطر و شارب ماء
الشحان * أي التعنت و لأتراء الرصد لمعرفي انه في قصر سيدي بوتخيل
عين من الماء جد حلوة و عذبة يأتون من الأحياء المجاورة ليسقون الماء
منها.

هذا هو طقس التجبار في وعدتنا وهكذا يقاس به نقاء القلب و الصفاء
باللون الأبيض الحليبي.

2. ليلة دعاء الختام للوعدة:

في ليلة الخميس 2016/10/28 ذهبت إلى منزل المتكفل بالمقام الولي
الصالح سيدي بوتخيل وهو *¹¹ عمي بن علي* و هو شخص ورث خدمته
لسيدي بوتخيل عن أجداده إنسان له مكانة عند القوم (أولاد سيدي بوتخيل) ا
اقتربت من المنزل وهو منزل متواضع و واسع و للوصول إلى غرفة
ضيوف هذا البيت لابد عليك أن تمر بالدروب" أزقة و لابد عليك كذلك أن
تمر بمقام الولي الصالح سيدي عبد القادر الجيلاني له مقام بجوار بيت هذا
الإنسان المضيف إذ هذا الشيخ يستضيف في كل سنة الضيوف في هذا
البيت المتواضع و خاصة مريدي الطريقة الصوفية القادرية و الدين
يعتبرون أنفسهم هم الوارثون لها من الولي الصالح سيدي بوتخيل. دخلت

¹⁰ - المخبر رقم 2 انظر قائمة المخبرين في الملاحق.

¹¹ - المخبر رقم 3 انظر قائمة المخبرين في الملاحق.

إلى ذلك الصرح لتناول العشاء بعد أن صلينا العشاء جماعة وقبله انتفعنا
بالعلم و الفقه فكان العشاء من الأكلة المفضلة في المنطقة* **الطعام** * فكان
من العيش فائق البياض يعلوه المرققة و الخضار وكما يحلو لنا تسميته ب
*** الروى** * و يتزعم الصحن لحم الخروف لاشتهار أولاد سيدي بوتخيل
بالخروف وتربية الماشية وكل هذا دليل على الكرم و الجود . وتحى
عبارات *** خمس خمس في طابطة** * يجلس الأفراد منظمين تنظيما محكم
وبعدا العشاء يأتي دور عروس الولايم **الشاي** فاحتسنا الشاي وكان من
ثلاث فكن الكأس الأول مر كالموت و الثاني حلو كالحياة و الثالث أحلى
كالحب وبعدها ندخل في غيابات الطريقة الصوفية القادرية.
ستسألني فعلا عن طابع اللباس الذين يحيطون من حولي سأقول لك و الله
إنني أرى عالم من الملائكة رجال يلبسون سوى الأبيض منهم من يرتدي
اللحية و منهم من لا وكل هؤلاء فوق رؤوسهم عمامة البيضاء وحتى أنا
لبست مثل ما يلبسون ولكني تساءلت بصمت لما الأبيض و فقط فهمت أنها
دليل على احترام و تقدير للمضيف و بعد عدة تهليلات و نوع من الذكر
الحكيم وبعدها رفعنا دعاء الضيافة و توجهنا مباشرة إلى شبه زاوية الولي
الصالح سيدي بوتخيل وهي في حضيرة المقام الولي و بدأنا بتلاوة القرآن
الكريم من الفاتحة الكتاب إلى ختام وكان ذلك أشبه بليلة 27 من رمضان
و هذا الطقس يدعى *** بالسلكة** * وترى كبار المريدين بين الحزبين يدعون
ببركة الشيخ الطريقة القادرية و بركة الشرفى و طلب الرزق و العام الجيد
السنة الفلاحية إلى أن جاءت فترة الختام القرآن الكريم كانت بضبط قبل
أذان الفجر ولم سألت¹² * محمد * أجابني أن هذا من العادات القديمة وفهم

¹² - المخبر رقم 4 أنظر قائمة المخبرين في الملاحق.

أن هذه الطقوس الممزوجة بالذكر و تقديس هي طقوس المقدس في الوعدة
ستبقى تسأل نفسك هل نحن مخطئين أم الآخر مخطئ وهل * شارل دو
فكوا * مر بهذه الأقوام وهل المدعوة بمحمودة* اليزبيل * تأثرت بطابع
العرب و قداسية الشرف أن كل تلك الهستيريا التي تحوز في نفسك
وتدرك أن في ذلك العلم الوجداني اللا متناهي، إن هذه الدنيا لا تساوي
شيء أمام المالك القادر الله الذي له القدرة على تغير ما يوجد أمامك .
روعة المشهد أو تعاست الفكر المسبق تبقى تتصارع في عقلك كل شيء
مضى كل شيء يلمع وفي النهاية تكتشف بأنك فعالم الزوايا و رياض
الصالحين وكل هد يوحى لك بأنك تتعلم في هذه الحياة تتعلم لتصل إلى ما
تريد وحتى الحديث يجعلك تحس بأنك في شيء مقدس الجماعة يتكلم فيها
واحد بعبارات* لم لحديث* وحتى الألفاظ التي تسمعها و أنت تنزع حذائك
توقن أن هؤلاء ليس على جهل مما يفعلون* تبارك الله * * يسدي مرحبا *
*زارتنا باراكا * *مرحب بضيف * و العديد من العبارات التي
تنزع الراحة و الأمان وتعطيك نوعا من أنك أنت من تملك تلك الضيافة
(خيمة كبيرة) لمحت من بعيد أحد المرادين يسلمون على بعدهم بتقبيل
الكتفين كنت أراه دائما لم يحيرني ولكن تغيرت نظرتي تجاه ذلك ليس
تجاهل ولكن تساؤلا فاكشفت أنها دلالة على تقبل الآخر المحبة و التفهم
يعني بعبارة أخرى كلمة¹³ تعالى حبنى * بعبارة أي تحية التقبيل بالكتفين.
غرفة بيت* عمي بن علي* لم أنساها بقية عالقة في ذهني سأستحضرها
لأصفها لكم لأن مشهدا يدعو لتأمل في طابع الجماعة و البناء المعماري
غرفة واسعة مكسية بزرابي من الصوف الأحمر و البني الأماكن الشيوخ

فيهم* الهيصورة *جد الكبش السمين و الجدران الغرفة من الطين مثل
الجدران القصور التي في المنطقة ولكي أحيطكم علما أن حي هذا كان
قصر عربيا أصيلا و لظروف التوسع المعماري أسقط هذا القصر لتبقى
بعض معلمه فكانت الجلسة لا ينسها العقل أبدا الجور وحاني الناس من
حولك كالملائكة و الحجيج وحتى الهواء يكسوه نوعا من الهواء المعطر
بخور ليلة 27 رمضان و المديح على خير خلق الله محمد بن عبد الله صل الله
عليه وسلم

3. دور المرأة في الوعدة:

للمرأة دور فعال في هذه الوعد إذ تلعب دور الرجل الخفي والمشارك الفعال
في طقوس هذه الوعدة إذ أنها تساهم بشكل كبير في طرح البركة ...
وبلورت معنى الكرم بتحضير اللائم إذ كان لي وقفة على تحضير وليمة
المشهورة و المعروفة ب "كسكس" على أنواعه باعتماد على مخبرتين
وهم¹⁴ و¹⁵ و اللتان أمدتاني بتفاصيل تحضير لهذه الوليمة.
إذ أنه تجتمع كبار النسوة لتحضير الكسكس وذلك قبل يومين من تقديم
الوليمة لهذه الوعدة فيفتل الكسكس ودالك باستعمال السميد " الدقيق" و
الماء و الملح و يبدأ دور الغربال الذي هو كذلك بمثابة أداة تفرز نوع هذا
الكسكس ومستعملين في دالك القوة العضلية لإفراز الطعام أو الكسكس

¹⁴ - م رقم 10 أنظر قائمة المخبرين في الملاحق.

¹⁵ - م رقم 11 أنظر قائمة المخبرين في الملاحق.

فتبدأ الكبار بالغريلة والصغار بتلقي الأوامر للمساعدة و التعلم للمستقبل فتسمعهم يقولن "نشاء الله هد العام يخرج مليح علينا وعلى بناتنا" و يبدأ الكبيرات من النساء الدين يكون معدل عمرهم أربعون إلى خمس وستون سنة بدعاء للعازبات بزواج و للمتزوجات بالبركة و إنجاب الأطفال "الخصوبة" وهم في العمل لو اطلعت عليهم لظننت أنك مع الرجال بقوتهم و حنكت رأيهم.

وبعدا الانتهاء من الغريلة وتفريز نوعية الطعام أو الكسكس يبدأ في نشر الطعام وتعريضه للهواء ليحفظ ويسهل استعماله في اليوم الموعد. وبعد هذه العملية التي تدوم يوم بأكمله يشرع الصغار من النساء في تقشير الخضار تحضيراً ليوم الطهي و الخضار تقتصر على الجزر و البطاطا و البقوليات من الفول و الحمص و العدس و أم الكسكس اليقطين و المسماة (بالكابويا) لأنها تعطي نكهة وطعم خاص في الكسكس وعلى كل حال دور الصغيرة من الفتيات هو المراقبة و الاستجابة لأوامر الكبيرات و المعروفات بالبركة الدار لأنه يقال مثال بهذا الخصوص "في الدار إذا غاب كبيره غاب تدبيره".

إلى أن يأتي اليوم الطهي الوليمة هذا اليوم بضبط يكون فيه عمال النسوة جبار إذ أن الكبيرات يحضرن الكسكس باستعمال القصاعي و ما يعرف بالقزازات لتحضير المرق الكسكس ويشترط على الرجل أن يكون اللحم من الخروف في القديم كان الناس يذبحون في يوم الوليمة ولكن اليوم ولظروف المعيشية الصعبة نوعاً ما أصبح يشتري اللحم فقط . إذ أنه لتشد القصعة غير كبيرة أما الصغيرات يغسلن و يراقبن و يساعدن أشبه بالمصنع المسؤول يأمر و يحتفظ بالأعمال التي لها علاقة مع الغير أما العمال الثانويين

يسعدون ويخضعون للأوامر فتتحرك تلك الديناميكية الأسرية لكل أمر له مسؤول وترى الكبيرات يقولن "حنى في وقتنا المرأة ما كنتش تخرج نهار الوعدة فرحتها بالولي كطيب الوليمة و تبدع فيها " . من هنا تفهم أن دور المرأة كان مقتصر على تحضير الوليمة و العمل عليها لإبراز الكرم و بركة و حسن الضيافة في القديم وحليا كدالك الا أن العولمة و تنوع الثقافي أعط الحرية للمرأة و جعله تصول و تجول في هذه الوعدة كما يحل لها و لكن هد الأمر يقتصر على البرنيات أي النساء التي تعد ضيفات للوعدة أما عن "بوتخليات " لازال هناك نوع من الحزم و الهيمنة الذكورية و لو بشكل رمزي و خصوص في هذه الوعدة لأن أولاد سيدي بوتخيل يكونون حاضرون بكثافة فتصعب الحرية المرأة البوتخيلية فأفراد نفس العرق يشكلون نوعا من الرقابة الاجتماعية وبمعنى أهل المنطق يقال أن أولاد سيد بوتخيل "مبلعين" دليل على الانغلاق و التشدد مع نسائهم و فرض نوع من الهيمنة و على هذا الصدد فللمرأة في هذه الوعدة نوع من المقدس المقتصر على طرح البركة باستعمال كل أنواع الولايم والتفنن فيها و أكثر و دور في المدنس باستقدام الحضور رغم لم تحدث أي شيء من هذا القبيل و لكن مخيلة الشباب مرتبطة بهذا المنظور.

4. الوليمة و دعاء الختام " رفيد العروف":

في يوم الجمعة 28-10-2016 و بعد صلاة الجمعة تماما تبدأ الضيوف تتوافد أمام ساحة المقابلة لمقام الولي "الباب لكبير" و يبدأ أولاد سيدي بوتخيل يضيفون الضيوف بإحضار الوليمة لضيوف القصاب من الطعام على أنواعه فترى الناس يتهافتون وكل يأكل باحترام فالناس هنا يحترمون

بعضهم البعض فالكل يأكل و لكل يشبع و ضحكات الرضى تسمعها في كل مكان الضيوف من أهالي المنطقة و ما جاورها فترى ذلك المزيج في الاتنيات المركزية و لا مركزية وكأنهم كتلة واحدة أشبه بالعيد . ويقال ان من يأكل من هذه الوليمة يمر عامه بخير أسطورة أم حقيقة هذا ما يروى عن هذه الوليمة.

يأكلون ويشربون فالضيوف فرحون وراضون و المضيف أشد فرحة يمنع الاختلاط النساء مع الرجال .أشبه باللعبة المتكفلون يحرسون و يراقبون النساء يرغبون في الغزل ولكن يمتنعون يعني التحلي بالحيطه و الحذر إن مسكت و أنت تتغزل فستعاقب.

يبدأ شيخ كبر و هو ¹⁶ " عمي بوتخيل " اسمه نسبة للولي الصالح سيدي بوتخيل في التهليل في وسط الساحة " الله أكبر كبيرى و الحمد لله كثيرى و لا الله إلا الله بكرة وأصيلى " يتجمع القوم حوله يتم هد طقس بحضور الدولة و السلطات المحلية في أغلب الأحيان و لكن هذه المرة لم يحظر أحد سوى رجال الخفاء المهم فكان ذلك نداء إعلان عن حالة الخشوع لدعاء الختام الوعدة فتذكرة حينما رأينا القصور وما روي لنا على التاجمعت ودورها في جمع القبيلة لأمر الطارئ.

وقف الجميع بصمت و عمي بوتخيل يقول يا جماعة الخير جمع الحديث خيم الهدوء على المكان الأطفال و الكبار سيات كلهم ينصتون رافعين أيديهم إلى السماء وفتح دعاء بفاتحة الكتاب الكريم وبعدها يبدأ الإمام المريرين في ذلك الدعاء الذي يجعل الرقة في القلب الإنسان يدعي لخير و البركة و العام الفلاحى و الصلاح للبلاد و العباد و يلمح لصفاء القلوب و التأخي

وبعدها يختم الدعاء بصلاة على الحبيب المصطفى (و الحمد لله حق حمده و الصلاة على سيدنا محمد صل له عليه وسلم و على آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا صبحناك ربي العزة عما يصيفون وسلام على المرسلين و الحمد لله ربي العالمين) هذا هو دعاء الختام و هذه حياة الزهد و الكرم لأولاد سيدي بوتخيل الجلاني القادري الشريف.

هي طبعا مرحلة ختام الطقوس الروحانية الدينية التي تنسيك الحياة العادية مرحلة من أروع المراحل التي تعيشها هذه الوعة في بساطتها في عنفوانها و كأنك تلامس الجو الأبيض المفعم بالجمال الأخلاقي و العبادات المقدسة.

5. الفلكلور " لعبة البارود والخيل "

بعد دعاء الختام للوعة تنطلق الأفراح أسميته بالعرس لأن كل شيء يتغير هي مرحلة الانتقال من المقدس إلى المدنس فهتم أنه مدنس من تصريح المبحوثين¹⁷ و¹⁸ الرقصات الفلكلورية التي تشبه ممارسة الجنس.

كما عبر المخبريين "إن لعبة البارود مثل عملية الجنسية في حالة الهيجان وإطلاق " اذ للدولة مساهمة كبيرة في هذا الطقس من طقوس الوعة اذ

17 - المخبر 7 أنظر قائمة المخبرين في الملاحق.

18 - المخبر 8 أنظر قائمة المخبرين في الملاحق.

أنها تولي العناية بالفرق أصحاب البارود تحت شعار حماية التراث الشعبي.

يدخل بعد رفيد المعروف تماما مجموعة من الأفراد يتكونون من عشرة أفراد زائد واحد و يشكلون حلقة كبيرة في وسط الجماهير يقال عنهم أنهم أصحاب "جنجا" أو كما يطلوا لنا أن نسميهم "لقوارير" يلبسون لباس خاص الأبيض و الأزرق الأبيض العباءة و الأزرق الحواق يحملون معهم بنادق شكلية من نوعين "طبجية" و " الزويجة " من الأسلحة التقليدية يشكلون دائرة كبيرة ودائرة صغيرة الصغيرة تتوسط الدائرة الكبيرة و في المركز الدوائر " القوال " و هو الذي يرفع ويعطي الانطلاق القول تفهم هنا أنهم يقومون بأمر منظم "القوال" يقول مثلا " الله هو" و يردد من ورائه الدائرتين المكونتين من البشر "الله" و هكذا دواليك " الله هو" " الله " و كأنك تسمع صدى يرد عليك تترافع الصيحات تقوى الحناجر يسخن المكان يدورون الحلقتين على بعضهما البعض ويرقصون رقصة افريقية و المتفرجون يرددون ويصفقون و يرقصون. بعدا ذلك هدوء الروحاني الهدوء تحول إلى ضجيج وأي صيحات ضجيج منظم تنظيما محكما وبعد ذلك الرقص تختم الرقصة بإطلاق البارود " زلع لعمارة " ونوع البارود الذي يستعمل هو البارود "النمايلي" فعلا ترتفع حرارتك ينبض قلبك بقوة تحس و كأنك تمارس شيء ولكن لا تعرف ما هو المهم ما يغمرك الفرحة و اللذة تتكرر الكلمات فجرى البارود يصبح كل شيء مضيبا رائحة البارود تملئ المكان . تسمع تهليل النساء من و راء الحجاب الذي وضع لهم لتفادي الاختلاط الحرمة و " الزغاريد".

لنساء دور فعال في الوعدة المنطقة تبتسم لو قلت لك هم السباب الأول
لحظر شباب المنطقة وللإشارة النساء هم كذلك من المريدة و ضيوف لهذا
الولي الصالح و حتى نكون منصفين نساء أولاد سيدي بتخيل لهم دور كبير
إذ هم الدين يطهون ويحظرون الطعام و الولايم لضيوف من دون كل أو
ممل . للعودة للبارود و مجموعة "جنجة" يمارسون طقس رقصة البارود
وتتغير الكلمات و العبارة اد لكل رقصة عبارة يرقصون عليها تدم لعدة
مرات من سبعة مرات أو تسع مرات لما سألت المخبري¹⁹ أخبرني أنه
لا بد أن يكون عداد التمرس فردي وبعد انتهاء من الرقصات البارود يتوجه
الناس مباشرة إلى مكان يدعى "بالنبكة" و " الترعة" هو مكان جميل جدا
بقرب من الولي الصالح سيدي عبدالله المكان يتميز باتساع المساحة و
الأشجار الرند و الصنوبر هذه الأشجار تهوى الهواء الجاف و رمال
الصفراء و الذهبية ببساط المكان مخصص لركوب الأحصنة.
الخيال هذه اللعبة التي تعطي رمز القوة و الشجاعة للإنسان العربي كان في
القديم كل عائلة من عائلات أولاد سيدي بوتخيل يمتلكون على الأقل حصان
في البيت امتلاك حصان بمثابة امتلاك سيارة في زماننا.
يتجمع الناس و يأتي أصحاب الخيل يتعددون من عشرة أفراد إلى خمس
عشر فردا الحصان وصاحبه يزينون و الممتطي يحمل بندقية مثل أصحاب
البارود يلبسون العمامة و البرنوص هنا في هذه الوعدة تفهم أن العمامة
هي أمر مهم "العمامة همة " وتسمعهم يقولون " نمش نجيب فيها علفة"
فهذه العلف تتمثل في أنهم يصنعون الصف من الخيل ينطلقون بالأحصنة و
تسمعهم يقولون "الله أكبر " ويطلقون البارود المشهد يعيدك إلى الوراء

إلى تاريخ العرب و الامازيغ الفتوحات الإسلامية إن امتطاء الحصان و الركد به رائع حتى هو يجعلك تفهم أنك تحمل مسؤولية وأي مسؤولية فعلك التوخي بالحدز.

فعلا سنتساءل عن الذين كانوا معنا في الوصف "المريدين الطريقة القادرية " في الأيام التي سبقت الاحتفال " المريدين سأقول لك بصراحة حتى أنا و الله لا أعلم أين هم سألت المخبري قيل رحلوا إذ هم لا يحضروا للفلكور بمعنى يزهدون بهذه الطقوس لا يقبلوها أصلا تنتهي الوعدة عندهم بانتهاء من "رفيد المعروف".

فعلا ترى الأرض تتغير الجو يتحول و حتى طقوس الوعدة تتغير و تتحول من مقدسها إلى مدنسها و الأفراد يتغيرون ببساط لكل طقس أفراده الخاصين به.

تعي أن الرجال في الهضاب العليا يتصرفون بحزم حتى في الفلكور الذي يمثل المدنس في طقوس الوعدة وتفهم أن أولاد هد الولي الصالح اختاروا مكان ملائم و رائع يسمح للفرد أن يمارس طقوس العبادة و العيش ببساطة وسهولة دون عناء الصحراء و الهضاب الصعبة.

لقد حاولت بوصفي لطقوس هذه الوعدة و التي لمحت فيها القدرة على ملاحظة الفرق و كذلك تحريك مخيلة القارئ و معرفتك بذلك مقدسها و مدنسها رأيت الأرض تتحول و رأيت بني البشر يختلف في أمثال روحانيتهم ولكن لم أرى أروع من هذه الوعدة نقلت لكم طلاءها ودخلت معكم في رحلة روحانيتها مررت تدبب المقداسها ومتى سترتفع حدوثة ومتى يقل نبضه . متى يحيا المدنس في قلب المقدس " رفيد المعروف " لغة لا يعرفها إلا مرید لطريقة الصوفية سواء كانت الشاذلية أو القادرية .

مررت بألعاب الفنتازيا و من لعبة البارود إلى برود الخيل ر أينا معا كل ما يجول في خاطر البشر . قمت بهذه الرحلة الروحانية لأعيش خبايا الوعدة معا دخلنا ما وراء الستار و عرفنا معا ما الدور الذي تأديه المرأة في جلب الناس لهذه الوعدة وكل هذا قمت به ببلاورة ما عايشته في رواية يترأسها الولي الصالح سيدي بوتخيل و يتعلم فيها المريدين و أطيانف البشر من هذه البيئة وحتى المرأة في هذه الوعدة مشاركتها مدا تأثرها طبعاً المرأة عنصر أساسي في هذه الوعدة لا يمكن نكر جميلها أو دورها بالعموم فهي بمثابة القلب النابض للوعدة لو غابة المرأة عن الوعدة لغاب أهم طقس مركب لهذه الوعدة ألا و هو الوليمة.

ومن هنا قد لمست أهم الطقوس التي رأيت أنها قد تسوقني للوصول إلى مخيلة القارئ وتقريب له التمثلات والممارسات لهذه الوعدة في الغرب الوهراني أو الجنوب الغربي في الجزائر.

1. تاريخ ونسب الشرف لأولاد العارف بالله سيدي بوتخيل:

لننظر قليلا إلى السياق التاريخي: ابتداء من القرن 15 م و كرد فعل على الخطر الاسباني البرتغالي الذي هدد السواحل الإفريقية، انطلقت الطرق الصوفية المتواجدة على مستوى المغرب العربي، تحولت من حركة نخبوية إلى حركة شعبية واسعة تحت اسم الحركة المرابطية – مشتقة من كلمة رباط- إذ علاوة على القيم الدينية التي تنادي بها كان أفرادها ينادون بالجهاد في سبيل الله ضد الغزاة كانوا يريدون عند الاقتضاء سلطة بديلة قادرة على تخفيف ضعف الحكام. و هكذا سيطرت طريقتان صوفيتان على الحقل الديني الجديد و هما: الشاذلية و القادرية. الطريقة الشاذلية يشتق اسمها من أبي الحسن الشاذلي و هو مغربي من القرن 13 م كان متصوفا كبيرا و رجلا مثقفا عاش خاصة بتونس و مصر و كان يعظ باستمرار بفضائل الاعتكاف و بالصلاة، هذه الطريقة تم إدخالها إلى الجنوب الغربي في بداية القرن 16 م من طرف سيدي أحمد بن يوسف المشهور²⁰ (انظر سيرة البوبكرية) و الذي لقّن سيدي سليمان بن بوسماحة زعيم البوبكرية و عينه بصفته مقدما جهويا للشاذلية.

²⁰- كل هداة مأخوذ من الأعمال التي توفرت لنا من -كتاب النسب الشرف وشرفة الجنوب الغربي-تاريخ واثنوغرافية الجنوب الغربي -مقتطفات-- استاذ خليفة بن عمارة. مكتبة النصر عين صفراء. وترجمة-لعربي بوداود. عمير -دار جودي - وهران 2011 ص 113 الى 123 و التمثل فيما يلي:

1.1 الأب الروحي لطريقة الصوفية القادرية "سيدي عبد القادر الجيلاني":

الرجل الذي استمد اسمه للطريقة القادرية هو سيدي عبد القادر الجيلاني و الذي ولد في جيلان بالعراق سنة 1079 م (471هـ) و توفي عام 1166 م (561 هـ) و هي شخصية مشهورة جدا لا تتطلب تقديمها لها. الإشارة إلى المصادر الإسلامية للحديث عنه يعني اجترار بلا طائل كلام في المدح، إذا كان هناك في أرض الإسلام متصوف متميز وضع نفسه في خدمة الناس هو هذا الرجل. جميع المصادر و جميع الروايات المتداولة أثنت على الشخصية. لئن بالمقابل وجهة نظر بعض المؤلفين الفرنسيين و هم من ضباط المسيحيين شاركوا في استعمار الجزائر: *ل. رين* و هو أكثرهم كفاءة و توثيقا كتب يقول: "ما كان يشغله هو حبه للبشرية و كذلك الإحسان الخارق، مما جعل منه الداعم للمساكين و الضعفاء في حياته و بعد وفاته. لقد أصبح الولي الصالح الذي يتضرع إليه جميع البؤساء أو الذين كانوا يعانون. فضيلة الإحسان هذه كان يمارسها سيدي عبد القادر الجيلاني في جميع مراحل حياته: لقد عاش فقيرا رغم أنه كان مغدقا بالخيرات عن هيبات أتباعه و من الملوك. كان يدفع الصدقات في السر إلى المساكين خلال الزيارات التي تأتيه إلى منزله المتواضع، كان يرد أحيانا بقوله: " لا يجب أن نصلي لأنفسنا فحسب و لكن أيضا لجميع من خلقهم الله " ... سيدي عبد القادر الجيلاني هو بالتأكيد الولي الصالح الأكثر شعبية احتراما من بين

المسلمين..... لم وهكذا لم تبقى كلمة جيدة تقال عن الولي والي بغداد: سلطان الصالحين، قطب القطب، الغوث.... تعداد المساجد، المصليات، المقابر و الأماكن المخصصة لسيدي عبد القادر الجيلاني معتبرة، ففي ناحية وهران وهران وحدها و بدون حساب المساجد كان يوجد أكثر من 200 ضريح أو قبة تحت اسم سيدي عبد القادر الجيلاني، ابتداء من أندونيسيا و إلى المحيط الأطلسي فإن تقوى المسلمين سمحت ببناء أضرحة عديدة تحت اسمه.... في كل بلاد المسلمين يحضر اسمه.... المتسولون على جوانب المسجد و أمام أبواب المدن، في الأسواق، في الشوارع لا يطلبون أبدا صدقة دون ذكر سيدي عبد القادر.... لم يكن رجلا صاحب خير فحسب بل كان عالما و أستاذا و داعية للتصوف. ترك عددا من الأعمال الصوفية و الدينية المهمة نالت شرف عديد التعليقات بالعربية بالتركية و بالهندية....

1. *ديبون و اكس. كوبولاني²¹* و مع أن لديهما أحكاما سلبية على بعض المتصوفين حيث يطلقان عليهم صفات من قبيل " متوهمون، حمقى أو مدّعو حكمة " كتبنا يقولان عبد القادر الجيلاني: " حقق عبد القادر نموذجا من المتصوف المتكامل، الصوفي الذي لا يقارن.... بعيد النظر و أستاذ عالم، كان فقيرا دائما و أعطى النموذج للأخلاق الفاضلة.... مبادئه تتمحور في القواعد التالية: نكران الذات في سبيل الله، التصوف، مبادئ في حب البشر إلى أبعد مدى بدون تمييز في الدين أو العرق، إحسان قوي و ورع شديد، تواضع على الدوام و بعد ذلك رقة في الروح جعلت منه الولي الصالح الأكثر شعبية و الأكثر احتراماً في الإسلام.... سلطان الصالحين.... ولي الفقراء و المظلومين، كان حفيدا مباشرا لعلي بن أبي طالب.... من هنا

²¹ - 2 O.Dpepont et X.Cappolani : Les Confreies Religieuses Musulmanes A. Jourda -Alger-1897 p 176

ورث بركة المتصوفين و الشرفه" أما ك. تريمل²² صاحب المؤلفات المتميزة بأسلوبها الساخر كان معروفا هو أيضا بأحكامه المسبقة و حقه المعن على العرب يعترف: " عبد القادر الجيلاني... كان وليا مشهورا... وليا مبعلا... مكانته المفضلة منحه صفة سلطان الصالحين.... من الشرق إلى الغرب من الشمال إلى الجنوب اسمه بات على كل لسان.... يذكرون طبيته و كرمه الذي لا ينضب.... كان منقذ الفقراء و جميع من أصابه البلاء...." هذه المقاطع تكفي لإعطاء فكرة عن مكانة الشخصية التي نشاهد دوما تعدد الأضرحة المخددة لذكراه.

2.1 نسب وأصل الولي صالح سيدي بودخيل "الشجرة" وطرقته في الجنوب الغربي:

كان لسيدي عبد القادر الجيلاني ذرية كبيرة. غادر العراق أحفاد عبد الرزاق و هو ابنه البكر للإقامة في مصر، بعد ذلك و بين القرن 13 م و القرن 14 م غادر البعض منهم مصر و توجهوا إلى المغرب العربي للإقامة بمنطقة تيارت، كانوا على غرار أجدادهم أهل الدين، و بسبب وجودهم تم إنشاء أولى الزوايا المنتسبة للطريقة الصوفية للقادرية. إذا صدقنا **مخطوط القائد**²³ و **مونوغرافيا 49** و كذلك أغلب نسخ كتاب النسب الشريف و الروايات الشفهية التي لا تزال متداولة في الربا التحتاني (أو الرباوات) الرجل الذي قدم إلى الجنوب الغربي لإنشاء زاوية قادرية – يبدو أنها أول زاوية في هذه الطريقة الصوفية بالمنطقة أصله كان من

²² - C. Truemlle .les français dans le désert calame Aine-paris- 1885 p55-56.

²³ - مخطوط القايد مجهول 4ص 16*21 مستخرج من دفتر الأرشيف واحد من أعيان أولاد سيدي بو دخيل في منتصف القرن.

²⁴ - Monographie49 : Document anonyme de L'administration française nomme aussi « Histoire du Cercle d'Ain safra » revu et enrichi périodiquement ; L'ultime mise a jour nous praisant être en 1949 . nous lui avons donne ce nom-25 p 21-27 dactylographiées.

زمورة (90 كلم شمال غرب تيارت) و كان واحد ضمن مجموعة أولاد شعيب و أولاد لقمان أحفاد عبد الرزاق الجيلاني. أشار م. بن مكي (ترجمة ا. جياكوبيتي)²⁵ و تحقيق و ب. بن بكار²⁶ و ع. بن علي حشلاف²⁷ و ا. شباني الإدريسي²⁸ و مجهولون آخرون، إلى أن قسما من أحفاد سيدي عبد القادر الجيلاني يسمون أولاد بوتخيل أو أولاد محمد بودخيل أقاموا بعين الصفراء.

و كذلك الشأن بالنسبة لمحرر وثيقة²⁹ تاريخ قبائل الجهة الوهرانية الذي يقول في الفصل المخصص للرباوات: "سيدي بوتخيل من ذرية سيدي عبد القادر الجيلاني يقيم أحفاده بعين الصفراء".

هذا الشاب معلم قرآن الملقب بمحمد ثم بعد ذلك الدخيل ثم سيدي بوتخيل هو الجد الأول لشرفة قصر عين الصفراء و الولي الصالح لهذه المدينة. ففيما يخص الجزء البعيد زمنيا فإن النسخ المختلفة لكتاب النسب الشريف تورد تباينات عديدة: حلقات ناقصة، مقلوبة أو مزاحة، أسماء غامضة- الخ..... على ضوء هذا التحريف و لأن هذا الجزء يتعلق بشخصية مشهورة مشرقية بالكامل و ذائعة الصيت، فضل الرجوع إلى وثيقة من الزاوية القادرية المركزية ببغداد – نقلها ل. رين – و خاصة مناسبة النسب الشريف.... الذي تم تأليفه في القرن 17 م من طرف عبد السلام بن الطيب أحد ذرية سيدي عبد القادر الجيلاني و الذي يقيمون في المغرب (تولى

²⁵ - A Giacobetti : Kitab En Nasab (genealogie des Chorfa) Adolphe Jourdan -1906- Alger p 173-180.

²⁶ - بن بكار -بلهشمي- كتاب رياض النزهة على منظومة نسمات الرياح الجنة في الفضائل أهل البيت و أولياء الله و أدكار كتاب و السنة – مجموعة الحسب و نسب و الفضائل تاريخ الادب في أربع كتب- مطبعة -ابن خلدون- تلمسان . ص133-143 1961.

²⁷ - حشلاف (عبد الله بن محمد بن الشارف بن علي) -سلسلة أصول في شجرة أبناء الرسول - المطبعة تونس ية -تونس -1929 ص 266-273.

²⁸ - الشباني الإدريسي (أحمد) -مصباح البشرية في أبناء خير البشرية - مكتبة أحمد الغزالي في الدكالة -مراكش(المغرب)-1987 ص 66-67.

²⁹ - Histoire drs Tribus de L Oranie – 1856- (manuscrit) Microfilm reg . 10H53.archives du G.G.A – WILAYA D Oran et Archives d Outre – M.

ترجمته ا. جياكوبيتي) هذا الجزء و الذي سنعطي لاحقا تفاصيل عنه يضم 14 حلقة، مع السيدة فاطمة المولودة في بداية القرن السابع ميلادي، يحدد الحساب التوافقي تاريخ ازدياد سيدي عبد القادر الجيلاني في حوالي 1133 م، بينما نحن نعلم ولد في سنة 1079 م، تطبيق هامش التفاوت المسموح و عليه في هذا الاتجاه أو ذاك يسمح بتقليص و بشكل كبير الفارق و المتمثل في 54 سنة و بالتالي اعتبار هذا الجزء أكثر توثيقا.

أما فيما يخص الجزء الأكثر قربا زمنيا، فقد عدنا إلى خمس سلسلات أنسابية، تبدو لنا أنها الأكثر تمثيلا و قد أتت من مصدرين محليين **مخطوط القايد³⁰ و³¹ مونوغرافيا 49** و ثلاث نسخ من كتاب النسب الشريف لكل من م. **بن مكي** (نسخة قديمة مترجمة من طرف ا. **جياكوبيتي³²** و **التحقيق... (قديمة) و ب. بن بكار(حديثة).** تقدم المصادر الخمسة نفس التعاقب باختلافات بسيطة. فوفقا للحساب التوافقي نحصل مع سيدي عبد القادر الجيلاني المولود في 1079 م على تاريخ 1412 م كتاريخ ازدياد لمحمد المعروف بسيدي بوتخيل، و بتطبيق التفاوت المسموح الذي بحلقة لقرنين اثنين نحصل على تاريخ 1467 م أي بفارق يقارب 13 سنة مع تاريخ 1480 م المحدد حسب المقارنات التي ستظهر فيما بعد، حيث اعتبر كتاريخ تقريبي لمولد سيدي بوتخيل، و هو فارق (13 سنة) لا يمكن أن يثير اهتمامنا – مع الإشارة إلى أن : **(1)** مصادر نادرة غير مثبتة فيما يبدو، تذكر الحسن بدل الحسين كأب لشخصيتنا. **(2)** سلسلة أحد أحفاد سيدي بوتخيل الذي كان يقيم بالمغرب الأقصى و الذي سنتحدث عنه فيما بعد، و

³⁰ - مخطوط القايد مجهول 4ص 16*21 مستخرج من دفتر الأرشيف واحد من أعيان أولاد سيدي بو دخيل في منتصف القرن.

³¹ - Monographie49 : Document anonyme de L'administration française nomme aussi « Histoire du Cercle d'Ain safra » revu et enrichi périodiquement ; L'ultime mise a jour nouspraisant être en 1949 . nous lui avons donne ce nom-25 p 21-27 dactylographiées

³² - A Giacobetti : Kitab En Nasab (genealogie des Chorfa) Adolphe Jourdan -1906- Alger p 173-180

التي جمعها³³. قسطاس الكاتب المغربي صاحب كتاب *نبراس المرید في طريق التوحيد*، لديه ثلاث حلقات إضافية و حلقتين مقلوبتين- في النهاية ها هي في نظرنا الشجرة الأقرب للمصادقية لسيدي بوتخيل: محمد (المعروف بالدخيل أو سيدي بوتخيل) بن حسين بن شعيب بن علي بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن لقمان بن محمد بن عبد الرزاق بن محي الدين أبي محمد (المعروف بسيدي عبد القادر الجيلاني) بن أبي صالح بن موسى جونكي دوست أبي العظيم الخضر بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله أبي كرم بن موسى الجون بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي و فاطمة بنت الرسول (ص).

لا نعلم في أي إطار جاء للإقامة في الجنوب الغربي محمد بن حسين بن شعيب هذا. في القرن 16 م كانت الحركة المرابطية نشطة جدا و قد قامت الطريقتان الأساسيتان بمجهودات جبارة للإقامة حيثما كان ذلك ممكنا. "و هكذا ساد كما قال ح. بوبكر و هو من أبناء المنطقة جو من التخاصم بين ممثلي مختلف الفروع للقادرية و الشاكلية". يسمح لنا الاعتقاد أن الشبكة المهمة للقادرية لتيارات/ زمورة بعثت محمد لإنشاء زاوية في الجنوب الغربي حيث بدأت تبسط تأثير الشاذلية بفضل نشاط سيدي سليمان بن بوسماحة و سيدي الحاج بن عامر التلاميذ القدماء لسيدي بن يوسف. يسمح لنا الاعتقاد أيضا أن سكان الربا التحتاني (القصر الذي دفن فيه سيدي بوتخيل) هم الذين قاموا بالاتصالات لدعوته من أجل الإقامة عندهم و فتح زاوية قادرية. كان سكان الربا من البربر. قرنان قبل ذلك استطاع البوبكري سيدي معمر

³³ - قسطاس - أحمد-مراس المرید في طريقة التوحيد. مطبعة فضالة -المجربة -المغرب -1994

أبي العالية أن يقنع جزءا منهم بالتخلي عن مذهب الخوارج و اعتناق المذهب السني. خلفاؤه عيسى، بلحيا، و بوليلي عاشوا و دفنوا بالربا، غير أن سكان هذا القصر فيما يبدو متباعدين عن البوبكرية. حتى أنه في القرن 16 م وقعت مناوشات مع سيدي سليمان و الذي بدوره فضل الإقامة بالشلالة الظهرانية و بني ونيف حيث جاء فيما بعد بالبوبكريين المنشقين لتأسيس غير بعيد عن الربا قصر جديد و يسمى الربا الفوقاني.

جاء محمد إلى الجنوب في حوالي سنة 1515 م – بالمقارنة أساسا مع تاريخ البوبكريين الذين أقام معهم علاقة مصاهرة حيث استطعنا تحديد الزمن الذي عاش فيه و هو بالتقريب ولد حوالي 1480 م، توفي في حوالي 1565 م ، لا نعلم إن كان قد أقام مباشرة في الربا أو أقام قبل ذلك بحاسي الأبيض (الأبيض سيدي الشيخ حاليا، 20 كلم نحو الجنوب، قديما عين تسمى غدير البقر، و قد بين لناي. **بن خلدون**³⁴ أن الملك الزياني أبو حمو موسى توقف بها سنة 1370 م عقب مطاردته من تلمسان من طرف المرنيين). أغلب المصادر المحلية **دو لا مارتنيير**³⁵، **ل. رين**³⁶، **مونوغرافيا 49 مخطوط القايد**³⁷.

أشارت إلى أنه كان لمحمد حقوق ملكية على هذه الآبار سواء بعد إقامة مستمرة، أو تحصل عليها بفضل اتفاق تجاري ربما مع بني عامر. لكنه من غير المحتمل أن يكون قد أقام في البداية في مكان معزول مثل حاسي الأبيض الذي يمكن أن يعيش به عزلة الصوفية عند الاقتضاء، لكن بصفة

³⁴ - ابن خلدون (عبد الرحمن)، كتاب العبر و ديوان المبتدا و الخير في أيام العرب و العجم و البربر، دار الكتب، بيروت، 1981، ص14.
³⁵ - Lacroix et De la Martiire :Documents pour servie a L etudedu nord-oust africain – L Danel – Lille (France)-1896 p 54.

³⁶ - L. Renn Marabouts et khoïn. étude sur L'islam en Algérie . A. Jourdan –Alger-1884 p188-195
نسب الاشراف و شرفة الجنوب الغربي خليفي بن عمارة . مكتبة النصر العين

³⁷ - مخطوط القايد و منغرافيا 49 - أنظر نفس المرجع السابق

ليس للإقامة بصفة عادية. بالعكس كل شيء يدعو للاعتقاد أن محمد أقام بالربا في البداية. الميل إلى التعليم، الضرورة الاقتصادية و الانتماء إلى طريقة صوفية هدفها الأساسي هو الدعوة إليها، تدفع بطبيعة الحال للقادم الجديد نحو البحث عن الأماكن الأهلة بالسكان. قصر الربا كان يعتبر قصرا مزدهرا و مركزا فكريا مهما، و كان محاذيا لضاية وادي قلينة في الطرف الشرقي لجبل القصور في نقطة التقاء الطريقتين المتجهين احدهم نحو الجنوب الشرقي و الآخر نحو تيارت و المغرب الأوسط. تعتبر الربا المحطة الأساسية في الطريق الرئيسي الذي يسلكه الحجاج و التجار و الذي كان يربط جنوب المغرب الأقصى بباقي المغرب و المشرق طول جانب الأطلس الصحراوي. في القرن الثامن كانت الربا تربط بين مملكتي الخوارج لسجلماسة و تيارت، أخضعت الربا للفاطميين سنة 909 م ثم هدمت من طرف المرينيين سنة 1372 م، و قد عانى هذا القصر من المواجهات المذهبية بين الخوارج و السنة ابتداء من سنة 1382 م.

في مجتمع يتحدث العربية، غالبا ما كان يطلق على الغريب الذي يكتسب شهرة (سواء عن طريق الميلاد أو شهرة أجداده) أو يتميز في بعض المعارف (الفقه، الكرامات، استخدام الأسلحة....) و يريد الاندماج، يطلق عليه صفة الدخيل بمعنى أنه قادم جديد لقبيلة، قصر أو منطقة. و الأمثلة عديدة في التاريخ الإسلامي: نذكر عبد الرحمن بن معاوية الداخل و الذي أسس دولة في اسبانيا، أو حسن بن القاسم الدخيل جد الملوك المغاربة.... و هكذا ستطبق هذه التسمية على المعلم الجديد، الشريف و حفيد سيدي عبد القادر الجيلاني، ممثل الطريقة القادرية، متخرج حسب بض الروايات من مدارس تيارت و زمورة، و كذا زاوية سيدي الهواري بوهران. لا توجد

هناك روايات شفوية حتى من طرف أتباعه و ذرياته تنتطرق إلى زواجه أو أية مصاهرة قام بها محمد الدخيل مع أهل الربا. من جهة أخرى و مع الأخذ بعين الاعتبار الضغوط الكرنولوجية، يبدو بوضوح أن بعضا من أبنائه و كذلك ابنته كانوا قد ولدوا قبل مجيئه إلى الجنوب و حسب بعض الروايات الشفهية القادمة من الربا فإن خضرة أم الدخيل كانت تعيش معه - يوجد ضريحها بجوار قبة ابنها بالربا - رغم المشاكل التي كانت قائمة بين بني عامر و سكان الربا من جهة و البوبكريين و حلفائهم من جهة ثانية، كان محمد الدخيل يمارس نشاطه و يعمل على ربط علاقات جيدة مع جميع مكونات المجتمع الذي يحيطه. كان محترما، و كان يحترم ممثلي الشاذلية و خاصة الذائع الصيت سيدي سليمان بن بوسماحة، و هذا و في حوالي سنة 1525م يوافق الدخيل على زواج ابنته كلثومة إلى ابن سيدي سليمان و اسمه احمد، و الذي سيصبح سيدي احمد المجدوب.

3.1 بزوغ فجر زاوية الدخيل وازدهارها "طريقة القادرية":

أخذت بالتدريج الزاوية التي كان يتولاها الدخيل أهمية معتبرة، حيث تم تدعيمها بمعلمين آخرين. في طريقة تعليمية، كان يخضع بصرامة لتعاليم الطريقة القادرية و التي كانت تركز على التواضع، التسامح، الإحسان، الانصراف عن ملذات الدنيا. و قد كانت علاقاته مع الناس طيبة جدا، فقد كان يستقبل برحابة صدر جميع من يقصده و يعتبرهم مثل أبنائه الحقيقيين، تماما كما كان يفعل سيدي عبد القادر الجيلاني بنفسه، كانت الزاوية ملزمة بتخصيص الهبات المحصلة في تسيير الزاوية لاسيما منها الاستقبال المجاني للتلاميذ و المحتاجين و كذا المسافرين، هبات كثيرة كانت تدفع

سنويا من طرف أهالي الربا و مختلف القبائل المجاورة. نحن نعلم و بفضل الإحصائيات الفرنسية للقرن التاسع عشر أنه كان يدفع كمعدل لهذه الزاوية: خروف مقدار من التمر، مقدار من الشعير و مقدار من الدهان (السمن) للخيمة الواحدة و جمل واحد لكل فرقة من القبيلة. من بين المانحين يمكننا أن نذكر: الدراقة الغرابية، الدراقة الشراقة، أولاد معلا، قسم من عكرمة، أولاد زياد، قبيلة أولاد مومن بالأغواط كسال، إلى جانب قسم من القراريج، أهل بريزينة، قسم من أهل الشلالة الظهرانية، قبائل حميان مقان وآخرين.....

نالت الزاوية القادرية بالربا تحت رعاية الشريف الدخيل أو سيدي الدخيل مثلما شرع في تسميته، أهمية خاصة، و قد وسعت من شهرتها في فترة ضيع فيها البوبكريون نفوذهم بعد وفاة سيدي سليمان بن بوسماحة المقدم الأكبر للشاذلية سنة 1539م (945هـ). و هكذا بلغت زاوية سيدي الدخيل أوج إشعاعها سنوات الأربعينيات في القرن 16 م. يتحدث³⁸ رين خاصة عن هذه الفترة قائلا: "أما عن انخراط عدد كبير من أولاد سيدي الشيخ (البوبكرية) للطريقة القادرية فتفسر بالإقامة القديمة في الأبيض لأحد أحفاد سيدي عبد القادر الجيلاني و هو سي بوتخيل، الذي كان يمثل قبل سيدي الشيخ النفوذ الديني المهيمن على كل منطقة جيريغيل (الببيض حاليا)" بتزويج ابنته كلثوم للبوبكري سيدي احمد المجدوب.

4.1 الصراع وتأسيس مدينة العين الصفراء:

كتاب L. Renn Marabouts et khoïn. étude sur L' Islam en Algérie . A. Jourdan –Alger-1884 p188-195 - ³⁸ نسب الاشراف و شرفة الجنوب الغربي خليفي بن عمارة . مكتبة النصر العين

وعد سيدي الدخيل بالتنازل عن حقوقه في حاسي الأبيض لصالح ابنته. كانت الحياة في الهضاب العليا قاسية و كانت مرتبطة جدا مع حيازة منابع المياه، ذلك أن الرعي كان هو المورد الأساسي للرزق، كما أن تطوير الماشية مشترط بكميات الماء المتوفرة. حتى و هو على قيد الحياة كان أبناء سيدي الدخيل كباقي السكان مربى ماشية، و هكذا طالبوا بحقوقهم على حاسي الأبيض، معارضين في ذلك البوبكريين الذين كانوا يعتبرون هذه العين المهمة كجزء من مهر كلثومة المتزوجة بواحد منهم. بعد وفاة سيدي سليمان بدأت اولى المشاكل بين أبناء سيدي الدخيل و حلفائهم بني عامر و آخرين و أقربائهم عن طريق المصاهرة من جهة، و من جهة أخرى البوبكريين، و من الأرجح إبراهيم و عبد الرحمن أبناء سيدي محمد بن سليمان و حلفائهم – من المهم الإشارة إلى أن سيدي أحمد المجدوب زوج كلثومة و هو في الحقيقة المعني الأول بالأمر، و لأنه كان يعيش حياته زاهدا في ضواحي شلالة/عسلة، يبدو أنه لم يأخذ موقفا في القضية – كان سيدي الدخيل رجل دين بعيدا جدا عن مسائل الماء و الماشية، لم يكن يتردد في أن يتبرأ من الأشخاص بما في ذلك أفراد عائلته الذين يطلقون الشتائم اللفظية و يتصرفون بعنف. و باعتباره الملاذ الوحيد كان يلتمس للتدخل، و طوال المدو التي عاشها تمكن من تهدئة حماس أبنائه، غير أن هؤلاء كانوا من جيل آخر، و كان للوسط تأثيره عليهم، فبقدر ما كان أبوهم رجل دين مسالم بقدر ما تحولوا إلى أصحاب غنم قساة.

مات محمد الدخيل بالرّبا حيث دفن بها حوالي عام 1565م، تاركا وراءه زاوية مزدهرة و التي علاوة على مئات التلاميذ الذين كونتهم ضمت أتباعا عديدين للطريقة القادرية عاشوا مع شيخهم و بقوا أوفياء له إلى النهاية.

تعرف هذه الشخصية الآن باسم سيدي بوتخيل، نعلم و عن طريق وثيقة لا جدال فيها أن القصر كان يحمل بالفعل اسم العين الصفراء و ليس عين صافية كما تعتقد بعض المصادر المحرفة، و أن شخصيتنا كانت تحمل تسمية سيدي الدخيل في بداية القرن 18 م: و بالفعل سجل الرحالة المغربي مولاي أحمد و الذي كتب عن رحلته إلى الحج أنه خلال سفره عام 1709م، توقفت قافلته في المكان المدعو حجاج (عين ماء تقع على بعد 20 كلم من العين الصفراء، كانت تستعمل كمحطة للحجاج أثناء مروره) حيث جاءهم أولاد سيدي الدخيل الذين يسكنون العين الصفراء بالمؤونة. هذا فيما يتعلق بفصاحة هذا اللفظ أما بالنسبة للصفة الشعبية فقد ظهرت بعد ذلك: لفظ أولاد سيدي الدخيل حرف استعماله تدريجيا، ثم أخذت تبرز شيئا فشيئا الصيغة العامة باستعمالها في المصادر النسبية للعرب كلمة أولاد الدخيل أو أبناء الدخيل مع إلغاء لفظ سيدي و الذي يعني شخصية من أصل شريف أو رجل دين كبير. صيغة اخرى بالمفرد سرعان ما أصبحت تستعمل هي أيضا: فكما قال بوبكري لتعيين واحد من ذرية أبي بكر الصديق، أو بوشيخي لواحد من ذرية سيدي الشيخ، يقال بودخيلي لتعين واحد من ذرية سيدي الدخيل، و هكذا وقعت سلسلة من التركيبات و التحريف للكلام الشعبي مما دفع إلى التخلي تدريجيا عن اللفظ الأصلي أولاد سيدي الدخيل ليحل محله اللفظ المشوه و لكن الواسع الاستعمال اليوم و هو أولاد سيدي بوتخيل (أولاد الدخيل أو بني الدخيل أو أولاد بدخيل أو بودخيل، متبوعا بصفة الشريف التي تصبح أولاد سيدي بودخيل و أخيرا اللفظ الحالي و هو (سيدي بوتخيل)).

بعد وفاة الدخيل، دخل النزاع مرحلة جديدة: طالب أبناؤه و البوبكريون علنا بملكيّتهم لحاسي الأبيض، اندلعت مناوشات عديدة بين المتخاصمين بمناسبة التقائهم حوالي الآبار المعنية بالنزاع. تفاقم النزاع أيضا اثر قائدين اثنين للبوبكرية و الذين كان يمكن لهما وحدهما التدخل: سيدي محمد بن سليمان المتوفى بتاريخ 1569م و أخيه و صهر سيدي بوتخيل، و هو سيدي أحمد المجدوب بن سليمان المتوفى عام 1571 م.

بعد الاشتباكات و المعارك المتقطعة، دخل أولاد سيدي الدخيل و البوبكريون في حرب مفتوحة و هجومات متبادلة على خيمهم. تتحدث المصادر الموجودة عن حرب دامت 14 سنة (بالنسبة لمخطوط القايد³⁹: تقاتلوا معهم أربعة عشرة سنة – بين 1565/1566 م إلى 1580م تقريبا) كان البوبكريون موجودين في الجنوب منذ قرنين و بالتالي كانوا متفوقين في العدد و قد تمكنوا من التغلب و طرد أولاد سيدي الدخيل و حلفائهم نحو بنود (80 كلم جنوب حاسي الأبيض) و هي واحة أسسها الهلاليون من بني عامر. إذا صدقنا **دو كولومب**⁴⁰ و بعد الحكايات الشفهية المنتشرة. و بغرض إبعادهم من المنطقة و تهديد الآبار محل النزاع، طردوا أولاد الدخيل من الربا تاركين الزاوية القادرية بين أيادي أتباعها، كما تم طردهم من بنود أيضا.

حوالي سنة 1580م (987هـ) و بعد انهزامهم نهائيا انسحب أولاد سيدي الدخيل و حلفائهم مع عائلاتهم نحو الشمال الغربي بعيدا عن المنطقة المرتادة البوبكريين و قد استقبلوا من طرف فرقة لبني عامر – وهم من العرب الهلاليين كانوا يمثلون في السابق السلطة المركزية، غير أنهم

³⁹ - مخطوط القايد مجهول 4ص 16*21 مستخرج من دفتر الأرشيف واحد من أعيان أولاد سيدي بو دخيل في منتصف القرن.
⁴⁰ - L. De Colomb :Exploration des Ksourde Sahara Impr du Gouvernement – Alger- 1845 p 45.

تحولوا إلى ملاك بسطاء منذ سقوط تلمسان على يد الأتراك عام 1550م و كان بنو عامر يعيشون بمنطقة العين الصفراء حيث تنازلوا لأولاد سيدي الدخيل بمقابل ألف رأس من الغنم على قطعة أرض من 12 كلم تقريبا على حافة الوادي من السخونة إلى الرصاف **مونوغرافيا 49**⁴¹. حدث آخر جاء ليؤكد أن هذه الهجرة و قعت بالفعل في نهاية القرن 16م: لم تتمكن كلثومة ابنة سيدي بوتخيل حيث يوجد ضريحها بالقرب من القصر من الالتحاق بالعين الصفراء إلا بعد وفاة زوجها سيدي أحمد المجدوب عام 1571م. حسب **مونوغرافيا 49**⁴²، "فكر أولاد سيدي بودخيل الذين كانوا يعيشون في البداية تحت خيمهم وسط قطعان غنمهم أن يبحثوا عن مأمن من الهجومات ... بنوا بسرعة مساكن محاطة بجدران مسننة، كان ذلك هو قصر العين الصفراء".

2. مقتطفات عن عدة (ركب) لبيض سيد الشيخ:

سيدي الشيخ واحد من الوجوه الأكثر بروزا في الجنوب الغربي الجزائري على الصعيد الديني كما على الصعيد التاريخي، تسمية سيدي الشيخ التي عُرف واشتهر بها هي لقب يدل على علو مكانة مشيخته و ولايته .

⁴¹ - Monographie49 : Document anonyme de L'administration française nomme aussi « Histoire du Cercle d'Ain safra » revu et enrichi périodiquement ; L'ultime mise a jour nous praisant être en 1949 . nous lui avons donne ce nom-25 p 21-27 dactylographiées.

⁴² - نفس المرجع السابق.

اسمه الحقيقي عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة ،نشأ في نواحي " قصر أربوات " وهي عبارة عن واحة واقعة على الطريق المؤدي إلى البيّض في اتجاه الأبيّض على بعد حوالي 23 كلم من هذه الأخيرة . وبالرجوع إلى عمل المؤرخين المسلمين فإن كتاب مناقب سيدي الشيخ اعتاد الإشارة إلى أجداده من أبيه ، لكنهم مقتضبون بل وساكتون عن ذكر نسبه من أمّه .

مولد : بينما كانت أمه آتية من البدو حتى حصل لها المخاض في الربوات الفوقاني وبالضبط بدرا قرب المسجد العتيق – معلم تاريخي - وقد اتخذها أهل المنطقة كدار للضيوف – كما أنها تحتوي هذه الدار على وتد أصبح يستعمله أهل هذه المنطقة للتداوي به من كل داء.

حسب بعض الأقاويل الشعبية المعروفة ، فإن أمّه تسمى شفيرية كانت ابنة الشريف سيدي علي بن سعيد أحد " أولياء " المنطقة، وقبره مشيد في قبة في " قصر الغاسول "، على بعد حوالي 35 كلم جنوب البيّض حاليا.

وعن تاريخ ميلاده ووفاته ومسقط رأسه يوجد شك كبير. إن المخطوطات التي يمتلكها أحفاده تعطينا معلومات ريبية وغير يقينية لا تمكّننا من الاستنتاج الصحيح.

بعد وفاة الأب الروحي لأولاد سيد الشيخ بداية القرن العاشر حيث كانت تتوفر على مصلى وبئر أسسه آنذاك سيدي سليمان بن بوسماحة قرابة القرن التاسع حيث يستغلون فيها المصلى مقرا للقاء التجار لمختلف الجهات ،ونشأ أول قصر (قصر أولاد بودواية و أولاد سيد الحاج بن الشيخ) على الضفة الغربية من السهل. وما أن مات سيدي الشيخ سنة 940هـ 1616م حتى أصبحت القصور تشيد على شكل حصون متوزعة على أربعة (أولاد

سيد الحاج احمد. القصر الغربي - قصر أولاد سيد الحاج بحوص - قصر الرحانية. ركب سيدي الشيخ: حتى نعرف مغزى هذا الركب لا بد من ذكر العوامل الأساسية التي جعلت منه ركبا سنويا. إن مفهوم الركب تأسس بوفاة الأب الروحي و الديني سيدي الشيخ بنواحي لبيض. و نتيجة الوصية التي أعدها بعد شعوره بقروب الأجل بسبب الجراح التي أصابته و هو يحارب الإسبان في شواطئ وهران. فاضطر سكان إستيتين إلى نقل جثمانه الطاهرة إلى الأبيض تلبية لطلبه في موكب جنازي سمي الركب. فأصبح هؤلاء السكان مجبرون لإحياء ذكرى وفاة الشيخ سنويا تكريما و تخليدا لروحه الطاهرة الأبيض سيدي الشيخ المدينة المعروفة تاريخيا بأنها كانت منبع المقاومات الشعبية. فمنها كان سيدي حمزة ومنها اشتعلت نار المقاومة بقيادة أولاد سيدي الشيخ : سليمان بن حمزة ،محمد بن حمزة ، احمد بن حمزة ، سليمان بن قدور ، قدور بن حمزة ، سيد لعلی، سيد الشيخ بن الطيب ، الشيخ بوعمامة من 1864م إلى وفاته في 1908/10/07.

تعرضت مدينة الأبيض إلى التخريب و الحرق وقطع أكثر من 3000 نخلة. فجر ضريحه 15 16 أوت 1881م انتقاما للهزائم التي لحقت بجيش الاستعمار منذ مقتل بوبريط إلى هزيمة الكولونيل انوساتي بعين تازينة في 19 ماي 1881م بفسادة الشيخ بوعمامة، ومنح الكرلونيل حينها سيف الشرق على تفجير القبة وتخريب البلدة المقدسة لأولاد سيد الشيخ.

لم تلبث أن أصبحت التزاما روحيا موسميا أو ظرفيا يحتفل به كل سنة عن طريق وعدة الركب وهي زيارة بمعنى هبة يقدمها الزائرون خلال المناسبة السنوية المسماة “الركب ”

والتي اعتاد سكان ولاية البيض على تنظيم فعالياتها بالأبيض سيدي الشيخ عند حلول فصل الصيف حيث تشهد هذه الأخيرة تحضيرات مكثفة لأحياء هذا العرس أو المهرجان الثقافي الشعبي التقليدي الذي يحمل اسم الولي الصالح سيدي الشيخ يتذكرون من خلالها خصاله وتفانيه وعطاءه في عهده السابق و إحياء لذلك يستقبلون حشود هائلة من الزوار من مختلف مناطق الوطن وخارجه يجتمعون على عدة ولائم يشترك في تحضيرها قبائل المنطقة حيث يقومون في هذا الركب بإطعام الزوار وعابري السبيل في جو من الكرم ويتخلل الموعد عدة أنشطة ثقافية منها الرقص الشعبي وألعاب الفروسية الممزوجة بطلقات البارود وكذلك تنظيم سهرات دينية وحفظ القرآن الكريم والمسرحيات والمحاضرات والندوات الفكرية والرياضية وتنظيم كذلك سباق في ركوب الخيول الأصيلة التي تعرف سنويا حضورا متميزا من مختلف ولايات الوطن للمشاركة في هذه التظاهرة الثقافية الضخمة المتواصلة منذ حوالي حوالي 5 قرون تقريبا وهذا إحتفاء بذكرى وفاة هذا الولي الصالح - سيدي الشيخ⁴³

3. المدرسة الكوننيالية و تفسيرها لطقوس الوعدة :

⁴³ - عدل سابقا من قبل ابو ايوب في الأحد مارس 25, 2012 4:51 pm مرات شبكات الانترنت منتدى جلفة.

الأعمال التي توفرت لنا عن ادموند دوتي روني باصي و ألفريد بال في سياق تفسير المدرسة الكولونيلية لعلاقة الوعدة ونسق المعتقد و العبادة القديم⁴⁴ .

يعتمد هائلا في تفسيرهم على عداد من التفسيرات المترابطة تطوريا . فمنهم تفسيراتهم أنهم يدكرون طقوس الوعدة كطقس مركب من الطقوس و ممارسات الفرعية تتراوح في أغلبها بين السحر و الدين و المعتقدات و الطقوس الوتنية القديمة و منها الطقوس الزراعية وكذا الأدعية المتعلقة أساسا بطلب الخصوبة و الاستسقاء.

وحتى التفسير الثاني يوضح تفسير الوعدة و طقوسها و عاداتها بعد الإسلام اذ تأسلت عدة طقوس و ممارسات وبقية بعضها تحافض عل الجانب الاخر من السحر و مدنس و حتى التوحيد المفرط الذي تعرضة له شمال افريقية ذلك الذي أدا حسبهم الى تثبيت و محافظة سكان شمال الأفريقي على معتقداتهم وعبادات أسلافهم رغم انتسابهم الى الإسلام و من هد المنطلق ظهور فكرة الوسطية مع الله . أصبح بعد ظهور الصوفية مصدرا للعبادة طقوس الاحتفالية كالوعدة و المواسم وكذلك ربطهم بعبادة الأسلاف بعبادة الأولياء خصوصا بعد حركة التأسلم سكان شمال الفريقيا و تعرضهم للحملات الصوفية و الطرقية . حيث تحوال " الكركور" الى عملة أسلمة حولته ما يعرف بالأضرحة يضم أجسام الأولياء و المرابطين

44 - الأعمال التي توفرت لنا عن ادموند دوتي روني باصي و ألفريد بال سنذكرها تبعا: أنظر في هذا السياق أعمال كل من. مأخوذ من مذكرة بوشمة الهادي -طقوس الوعدة في الجزائر – 2004-2005 ص 57 الى 61.

• دوتي ادموند.مراكش.ت. حزل عبد لبرحيم منشورات مرسوم. الرباط2011 ص 70-72
• باصي روني. أبحاث في الدين الأمازيغي . ت . بوشخار حمو. سلسلة دفاتر وجهة النظر. مطبعة النجاح الجديدة. الرباط2012 ص 12-27-68.

بعد وفاتهم ومن هذا استنتج أن عبادة الأولياء هي في أصل عبادة
للأسلاف .

1.3 الوعدة و الممارسات و المعتقدات ما قبل الأسلة بالمثال:

ينطلق رواد المدرسة الكولونيا لية بربط معتقدات وطقوس الفترة ما قبل
الأسلمية و الوعدة من اعتبار هذه الأخيرة كطقوس مركبة يضم عداد من
الطقوس الفرعية ما يتقاطع مع الأخرى سواء المدنسة منها أو المقدسة
فالوعدة حسب هذه المدرسة تضم طقوس القرابين و التضحيات "الدييح" .
اجتماع حول الضريح مع ما يصاحبها من ممارسات دينية و سحر ما
يعرف بالمدنس في الوعدة من قبل تقبيل لالحجر و التمسح به . و حمل
تراب الضريح " الودعة" و الشجر و شرب الماء المقرب منه . فهذه
الطقوس و المعتقدات جميعها منبعها السلاف القدماء . وحسبهم فان هذه
الممارسات مستندة على فكرة النظرية التطورية فما يستنتج أن نوع من هذه
الممارسات و الطقوس من البقايا الوثنية حافظت على وجودها و تأثر
المسلمين بها بعد الفتحات الإسلامية لشمال افريقيا البربرية بتعبير الفكر
الكولونيالي .

أما ما تتضمنه الوعدة من طعام مشترك وأضاحي في طريقة تفسيرها عند
هؤلاء الدين اعتبر ذلك يرتبط بالطقوس الفلاحية و الخصوبة و الاستسقاء
 . فهذه النوع من الطقوس ما يحمل من وظائف . فهي حسبهم لاتخرج عن
الطقوس الاستعطافية و التقريبية من الألهة و الجن و السلف قبل الإسلام .
و الدين اقترن حضورها بهم . ولاكن بعد دخول الإسلام تم إعادة انتاج هذه
الطقوس ضمن شروط وأنساق جديدة . فتم التغير من عبادة السلف العبادة

الأولياء الدين أصبح مصدر الهام من الطقوس متعددة من بينها. ما يعرف بالوعة والوليمة و الزردة و الركب و المواسم التي تقام حول الأضرحة الأولياء و زوايهم .

أما بحدث عن العلاقة بين الطقوس الوعدة و المعتقدات ما قبل التأسلم يركزون حتما عند هؤلاء بتفسير التطور لعلاقة السحر بالدين في شمال إفريقيا ومن هذا من الضروري أن يعود التطور بناء الضريح الولي الذي جاء حسب دوتي⁴⁵ كنتيجة لتأسلم ركام الحجارة الصغيرة الذي أصبح تدريجيا و تطوريا في شكل الضرح. و الذي كان قبل الإسلام عبارة عن طقس سحري لإبعاد الجن و الأرواح برجمهم بالحجارة في المكان الذي يرتادونه من الناحية أخرى جاء تفسير علاقة القربان و الدعاء و التوسل و الابتهاال بالولي. و يربطون ذلك برتباط مواسم الأولياء بالطقوس الزراعية القديمة . التي كانت تضحى من خلالها هذه الشعوب المختلفة بالقرايين الحيوانية منها ترتيل و نشيد عبارات الاستعطاف و التبرك و طلب الخصوبة و وفر الغلة. ومن جانب آخر ربط رواد هذه المدرسة الحجر و المقدس و السحر بالبركة الموجودة في الضريح . كما اعتقد النذور على أنها طقس مكرسة لطرد الشر و الألم . و كذلك لها دور الاستجلاب و البركة، إذ هي ترتبط في طقوسها بعلاقة التبرك و تقديم القرايين. و كل هذه التحليل مأخوذة من تفاسير السابقين لهذه المدرسة كل من "روببتسون وجيوفونز وكذا القديس نيل وذلك من خلال نظرية أصل الطوطمي للقربان⁴⁶ .

⁴⁵ - المرجع السابق: دوتي آدموند.مراكش.ت. حزل عبد لبرحيم منشورات مرسوم. الرباط2011 ص 297.

⁴⁶ - DOUTTE- E- Les Marabouts « Extrait de la Revue de l'Histoire de Religions editee en 1900 par ERNEST LEROUX « paris » editoin Alger livers (G.A.L° Alger-2008 –p08.

كل هذا يجعلنا نستنتج أنه من خلال رواد المدرسة الكولونيلية قد خرجت بنتيجة مفادها أن طقوس الوعدة من خلال النظر إليه يمكن اعتباره كطقس وتتي لم تغير منه عملية الأسلمة غير الاسم و هذا على حسب ما أتيح لدينا من هذه المدرسة.

2.3 الوعدات و الممارسات و المعتقدات بعد الأسلمة بالمثال:

إن المنطلقات الأولى التي أنطلق منها رواد المدرسة الكولونيلية يتفقون على أسباب و عوامل استمرار الكثير من المعتقدات و الطقوس القديمة في قلب الإسلام الجديد هي ما تتعلق أساسا بالطبيعة الصلب و هو ما عبر عنه دوتي⁴⁷ بالطابع الصلب للعقيدة و معها نسق التوحيد المفرط باعتبار الإسلام أكثر ديان السماوية توحيدا و أقلها تجسدا و التواصل الملموس الذي لا يضر ظهور الله للإنسان الشعبي وهذا بالخصوص ما أبرز للإنسان البربري لتعرفه على الدين الجديد وضعف تخليه عن الرواسب المعتقدات القديم لديه . وهذا ما يفسر اعادت إنتاجه و استمراره في بعض العادات و المعتقدات و تقاليد الدينية و الاحتفالات القديمة . خصوصا تلك العلاقة المرتبطة بالوساطة بين الذات و الله بالخصوص و يربط " روني باصي Basser" بين هذه الاسباب و ليدة البربر عن الإسلام حيث يبرز ذلك " إن البربر ارتدع الإسلام اثنا عشر مرة ونستطيع الاعتقاد أنه لو وجدوا عندهم سلطة مجاورة . قوية وجد منظمة لكانوا ردوا ببسالة غزوات المسلمين "

48

47 - دوتي ادموند.مراكش.ت. حزل عبد لبرحيم منشورات مرسوم. الرباط2011 ص 297-303-304/ مذكرة بوشمة الهادي. 2015/2014.

48 - باصي روني. أبحاث في الدين الأمازيغي . ت . بوشخار حمو. سلسلة دفاتر وجهة النظر. مطبعة النجاح الجديدة. الرباط2012 ص 79.

و من الناحية الثانية يلمح "باصي" على أنه رغم سنية البربر المسلمين في الأول إلا أنهم سرعان ما استقبل بحماس مذهب الخوارج⁴⁹ ".
إن هذا الحضور الروحي و الإلهي الذي تعرض له المؤمنون في الحياة المغاربية و معيشية أدى بهم إلى إحلال فكرة الوساطات مع الله على حسب المدرسة متمثل في الولي الصالح كإنسان فوق الطبيعي يحس بالأم الشعبي و يعيشها معه لهد تسمع الشعبي المغربي يقول بركة سيدي فلان ... و شفاعة سيدي فلان ..و.و. و نتيجة هد الفكر أنتجه طقوس و ممارسات خصوصا منها الوعدات الصالحين و الزردة و الموسم . التي أوسعت الهوة القومية بين التجريد الإلهي. و بحث الإنسان الشعبي عن إسلام معيشي و عملي و مختصر للمسافات⁵⁰.

أما التفسير الثالث الذي قدمه رواد الكولونيالية فانه يربط بين عبادة الأسلاف الأولياء. اذ تمثل لهم عبادة الأولياء الإسلام المغربي. ما كانت عليه عبادة الأسلاف المقدس و المسجد . رغم ما أتى به الدين الإسلامي في بلاد المغرب من نفي و نهي و إقصاء لكل المعتقدات و الممارسات التي كانت ما قبل الأسمية و التي تهدد نسق التوحيد إلا أن ذلك لم يكن مانعا من البقاء في الإنسان المغربي ضمن تدينه الجديد يقول "دوتي" ضلت الشعائر و المعتقدات السابقة حية و مستقرة بجانب المعتقد الإسلامي السني تارة . و المندمجة تارة أخرى في شعائر إسلامية نفسها و منصهرة فيها.

كما أن المعتقدات للبالية لم تندثر نهائيا⁵¹ " هذا ما أدى إلى تفاقم فكرة عبادة الأولياء التي أصبحت تكتسح شمال إفريقيا و البلدان المغاربية بالخصوص و سبب ذلك مرتبط بالأمر الذي سبق ذكره و التوحيد الحاد

49 - نفس المرجع السابق، ص80.

50 - نفس المرجع السابق، ص39.

51 - دوتي آدموند.مراكش.ت. حزل عبد لبرحيم منشورات مرسوم. الرباط2011 ص 12-13.

للإنسان المغربي مع إلغاء و رفض نهائيا الإسلام للأمور الملموسة التي تجمع مع العبادة و المعبود أدى ذلك إلى اتساع المسافة بينهما حيث أصبح الله ظاهرة بعيدة وبالغة التجريد عن الألام و أحاسيس الإنسان الشعبي و هذا ما أدى إلى ظهور الوساطة لتقريب المسافة هكذا كانت العبادة بالنسبة "دوتي و بقية الرواد.

إن رواد هذه المدرسة قدموا تأويلات على حسبهم أدى يرى "دوتي " وبقية الرواد

■ الأسلاف و الأولياء في المنظور القديم ما قبل الإسلام يمثلون تلك الكهنة و السحرة و بالتالي فان بعبادة الأولياء عرفها البربر قبل الإسلام في صورة عبادات أسلافهم و أجدادهم و من هذه التفسير يوجد رابطة بين عبادة الأولياء بالمنطقة المغربية بعامل البقايا الوثنية و ن جهة أرى بنسق التوحيد المفرط و الحاد، و من هذا كانت عبادة الأولياء مختلفة الطقوس معبرة عن ذلك الوضع

■ نجاح التصوف في شمال افريقية تعود أسبابه الى كما يرى "بال " Bel إن ذلك مرتبط أساسا بكون الإسلام الصوفي البربري تغذى من المعتقدات القديمة . و التي اعتبرت على أنها مزيج بين معتقدات في قوى الخيار "المقدسة . و معتقدات في قوى الشر "المدنسة" و التي أوجدت لها تصوف بمحتواه و مضمونه و وسائله و الأدوات الفاعلة في مجابقتها. خصوصا في الناحية البركة وكرامات الأولياء.

■ " فمنذ القرن 12م أدرج التصوف في الإسلام الرسمي وعلى حسب "بل"⁵² Bel" انتشار و توطد عقيدة تقديس الأولياء عند البربر و العرب بعد الأسلمة. أضح الأولياء يملكون القدرة على صنع الخوارق و الكرامات و القدرة على صنع المعجزات و ذلك لحصولهم على دعمي الله الذي قربهم منه و منحهم قوة خارقة غير طبيعية عادية تسمى البركة أعطته درجات العبادة . خصوصا كما يقول "بل" " قد وجدة هذه العقائد شعوبا ميالة . و متقبلة طبيعيا لعبادة الإنسان و قبل ذلك كانت غارقة في السحر و الشعوذة.

❖ الاستنتاجات:

إن ما تلمح إليه المدرسة الكولونيلية التصوف جعل نقل الإسلام الأول دينا تجريدي يغيب عنه الكهنوت و الوسطاء و الرابط بين الله و العباد إلى دين أكثر إنسانية و أقرب إلى فهم العام للمتعلمين و إلى قلوب المؤمنين ولم يعد الله هو البعيد الجرد الذي يتقرب منه الإنسان الفقير و من جهة أخرى إن الله نزل بين عباده بفضل ممثليه على الأرض من زعماء طرقية و صوفية و الأولياء الصالحين الإحياء و الأموات منهم أولياء الله و أحبته لقد أصبح الله قريبا يستجيب لدعواتهم . بشفاعة و وكلائه على الأرض . الأولياء و بركاتهم . التي أصبحت سلاحا لا يقهر و تحت تصرف الجميع لمواجهة الشر الغامضة و الرهيب من قول 07"بل".

و كمحصلة نهائية أصبح الدين البربري في شمال إفريقيا على حسب ما صوره رواد المدرسة الكولونيلية هناك خليط بين الممارسات و المعتقدات بطقوس عديدة تتقاطع فيها تعليم الأرثوذكسية بالشعبوية و الصوفية المنتهية

⁵² - Bel Alfred, « Islam mystique », *Revue Africaine*, n=68, année 1927, OPU, Alger, pp347, 364.

إلى ما هو عليه الدين الإسلامي في شمال إفريقيا . الذي شهد مزيجه فوق ممارسات السحر الذي عرفتھا الاثنية البربرية امتدادا واسعا في المواسم أو أن الإسلام لم يتمكن من قضاء على بقيا السحرية الدين الوثني القديمة هذه استعارت على الإسلام الصوفي على السواء و من تمت هذه العادات.

❖ العلامات ودلالة:

■ الأماكن المقدسة هي التي يتم تجيرھا و يتعد هد العمل في الأماكن المقدسة (المقام الولي) يمثل عمل رمزي رش كل مكان بالجير . ولي القبة . و الجميع الناس يؤكدون على احترام و تقدير و توقير للرجل و الأماكن التي يلجئون إليها . فمن هنا الجير له دلالة الصفاء و لون الحليب يدل حب و الصفاء النيات بين أفراد هذا العرش مع سكان المنطقة ولو كان لا ينتمون إلى هد العرش أو القبيلة.

■ يظهر هذا المساق للوعدة التماسك و تجديد الفضاء و الطقوس و هذا تعد دلالة لتعبير عن الخرافات و الأساطير و المعتقدات بالنسب للحفل و الفرح . وبالإشارات و العلامات التي تجعل الأفراد يتميزون عن بعضهم كاللباس مثال أو ترديد العبارات تميز الأفراد عن بعضهم البعض لكل فرض مكانته في هذه الوعدة. وفي هذه الأماكن و التفاصيل الدقيقة تظهر

أمور خفية من عدة تعبيرات خفية مكبوت في الفكر البشري يتم تدفقها و إعادة إنتاجها يمكن تسجيلها في مسحات من الفئات الاجتماعية.

■ والقرية أو المكان التي توجد فيه الأماكن المقدسة يتم في كل سنة تصبح هذه القرية أو المدينة كوحدة اجتماعية و الوقوف على المباني أو الأضرحة أو المعمار البنائي القديم التي تعبر عن الوحدة الجغرافية . من هنا نفهم أن الوعدة تعد من أكثر الطرق و الطقوس انتشارا. فهنا نفهم أن الوعدة لها دلالة الحفاظ على الثقافة المجتمع ما و تثبيته في معظم الأحيان بشكل منتظم. و كذلك يعبر عن تعزيز المشاعر الاجتماعية وله دلالة الحفاظ على أوصل القربان و المعتقد الديني و كذا التعاون الاجتماعي.

■ الوعدة لديها قوانينها و مدوناتها و ضماناتها كل هذا يعطيها رمزية الثبات دائما في مراحل تطورها فكل من (الغذاء و اللباس و الكلام) . و رابط الاتفاق و الشعور الحد و رمزية العودة إلى الرجل المتخصص دليل على تعزيز تماسك و هوية جماعة معينة. كل هذا يجعل الفرض ينتابه إحساس بقوت الانتماء إلى المجموع أو مجموعات (القصر. الطريقة الصوفية أو انتساب إلى الشرف بالخصوص) و تمرس الرقابة الاجتماعي (الأعيان المراقبين في وعدة).

■ هنالك أحداث متوقع أو يتم استنساخها من طرف أصحاب هذه الوعدة و التي تعتمد على الالتصاق و المشاركة الجماعة واستعمال المسحات المنطقة لبعض الوقت الرجال الطرق الصوفية يحتاجون الى بيئة غير منظمة تنظيما جيدا فحسب بل تنظيما روحانيا رمزيا.

■ الوعدة و أعيادها. لحظات دورية التي تلم بطبيعة الحال من وجود كائنات و علامات رمزية وكذلك المحافظة على المكانة المقدس في مرحلة

الحفل التي تمثل المدنس فبلورات الاحتفال في طابع الوعدة تلاحظ رمزية الأفراد المقربون يبتعدون عن الاحتفال محاولتا منهم لإبراز عقليات التقديس و نبذ المدنس.

■ الحج يعطي رمزية للوفود التي تحتاج إلى الوعدة المقام الأول بذلك إلى إقناع الحاج نفسه الإحساس بالانتماء . و ذلك بتقريبه إلى المجموعة و هو كذلك يمارس ما تفرضه المجموعة عليه و من المؤكد أن الحاج هو أول الزوار. وهو كذلك في منفى و من هنا كسر رمزية المفعول هذه التجمعات أثناء الحج هي في الواقع بناءنا نحن و من هنا فالمكان هو مجرد مكان على عكس الجماعة التي تلعب دور قياديا لدلالة تمسكها ما بعد التجمع وهد ما جعل الوعدة تستمر رغم الغزوات التي حاوت إسقاط هذا الفكر.

■ تتركز الروحانية على الرجل الكريم . الولي يعطي دلالة الشخصية قيادة في المجموعة و المكان و كلم (سيدي) أعطت مسار كلمت (قديس) عندا المسيح يمكن لها أن تتلاشى أما عندنا لم تتلاش و باقية من فترة قديمة جدا (سيدي) هي الوسيلة التي يتم من خلالها تأكيد المجموعة ككيان متجدر في الأرض و على حسب الحقب التاريخية فالضريح أو هذا المكان الذي يحمل الوعدة بشكلها الكلي فهو مكان معترف به و على حسب رمزية كلمة "سيدي" للولي الصالح رمزيتين و دلالتين المكان و الوقت واحد . الزمان و المكان.

■ الزيارة لها عدت رمزيات فزيارة القبور جاءت لتنشيط الذاكرة الأسطورية التي سببت الوعدة المعروفة بعيد المسرحي المحلي و تعطيك رمزية كذلك القبر يعطيك التغير و الترحيل للوصول القبر الآخر . ولي كل سيدي له وعدة خاص به و زياره الخاصين وكل ذلك التضخم لزيار له

علامة لتعدد الجماعات وعيمهم بالتماسك الاجتماعي و الإقليمي . الاجتماعية ومع ذلك أنها تتناسب معا لتشكل مجموعات أكبر تقاليد نتيجة الإسلام البربري العربي بعد مرور ثلاث عشر قرن من النفوذ.

■ للحفل أو الوعدة لها عدة ممارسات تبرز عدد من العلامات وخاصة فيما يعرف بالفنتازيا إذ هي تعبيرات عن معتقد ما كان سابقا ممزوج بعبارات من نوع التبرك والتقديس للولي المراد الفرح عليه و من بينها لعبة البارود و ركوب الخيل.

■ قوة العبارات وإعادة الصدا إن قوة لعبة البارود لها تأثير كبير في إحياء مثل هذه المناسبات تعتبر واحد من الطقوس الجاذب للوعدة.

■ و لعبة الخيل كذلك تعد من الطقوس الجاذب للوعدة إلا أنها تعد من أقوى الطقوس تعبيراً عن شجاعة و فرض الهيمنة على صعيد الطقوس من الناحية الجمالية و قوة الإبداع.

❖ نتائج الدراسة:

إن في هذه الدراسة حاولت توجيهها سيهام على ما يلي:

■ وصف كل من الطقوس التي رأيت أنها تصب في مجال موضوعي بعملية الغوص و التغلغل في روحانية الوعدة لأقترب و أفهم ما معنى المقدس كما و كذلك إبراز ملامح المدنس بالمشاركة فتوصله الى أن المقدس في الوعدة هو ما تحافظ عليه الطرقية و المردين لها أو بمعنى المقدم الزاوية و الموالين لطريقة الصوفية.

■ فالمقدس في هذه الوعدة هو العرق ومنتساب الولي الصالح الى سلالة "الشرفة" قبل كل شي و يأتي بعده مقام الولي و الطريقة القادرية و التبرك ببركة هذا الولي و كن الاحترام والتقدير له بكل العبارات و الممارسات بالخصوص

■ أما المندس يقتصر على ما بعد دعاء الختام أصحاب الصوفية و المردين لينطلق المندس تحت شعار المحافظة على تراث المنطقة.

■ إن دراسة مست حتى الدولة كعاني لأبدي للمندس إذ أنها تساهم بشكل كبير في تشجيع هذه التظاهرات بتمويل أصحاب الفنتازيا و الدعاية الإعلامية من طرف وزارة الثقافة و نحت شعار المحافظة على التراث المحلي باعتراف كل المبحوتين الذين ساعدوني في هذه الدراسة و اللذين أجريت معهم المقابلات نصف موجهة وهذا أعطاني دلالة على أنها تساهم بشكل كبير في الوعدة بشكلها العام طقسها و ممارساتها مدنسها و مقدسها.

■ وكذلك المرأة المساعد الخفي في نجاح الوعدة استنتجت من هذه الدراسة أنه لولا المرأة لما وجدة الوعدة و ما حووظ على استمرارها فهي تلعب دور مزدوج في مقدسها بالمشارك في طرح البركة و الطهي بكل سخاء من دون عناء أو ملل لإبراز نوع من الكرم لأولاد سيدي بوتخيل و الدور الثاني هو جلب الشباب المنطقة لحضور الوعدة رغم التطور الفكري و التكنولوجي فهناك حضور بشكل مكثف وهذا ما يبرز قلب المندس في هذه الوعدة.

■ و باستعمالي لركب أولاد سيد شيخ حاولت أن أبرز الفرق بين الوعدة و لو بشكل طفيف لأنه هنالك فعلا اختلاف لا يظهر للعيان ولكن أهل المنطقة يظهر جليا لهم لهذا تراهم يقولون " هد العام جات الوعدة مليح و لا لا " و حاولت في هذه الدراسة أن اقرب للقارئ مدا طول فترات الوعدات

باستعمالي لدراسات الكولونيالية ومن هذا استنتج أن هناك صراع قائم بين الطرق الصوفية الشاذلية و القادرية استفادة منه الطريقة التجانية التي هي اليوم في قمة عطائها لتبقى الطريقتين مجرد طرق تراثية حالياً.

■ ومن نتائج هذه الدراسة هو ذلك التحول الذي حدث لطبيعة البناء المعماري لقصر سيدي بوتخيل العتيق و عملية إسقاطه من طرف السلطات كانلي تقرب من هذا الموضوع وحصره في المتغير الأساسي في هاته الوعدة وكنتيجة اسقط القصر من طرف السلطة لفك الضغط على أهالي (أهله) و ربط الطريق لنزل مكثر الموجود في هذه المنطقة وهذا لفتح الطريق للفندق التابع لدولة أو توسيع المسجد و تهديم قصر العين الصفراء الذي كانا يضم حوالي 200 مسكن و هذا من طرف المسؤولين الإداريين بلا ضمير و غير أكفاء و من طرف جهة من قاطنين هذا القصر و اعتبرتها إهانة لذاكرة الأجيال السابقين و اللاحقين و اعتبرتها في دراستي على أنها جريمة في حق التراث الإنساني و هي جريمة لتأخذ أبعاد جسيمة في ظل أن الدولة منحت إعانات ضخمة لترميم القصور المجاور في المنطقة وكنتيجة لهذه الدراسة لبدا عليا أن ادكر أن احد الفنانين في المنطقة و قاطني هذا القصر (م. جرديني) قدم تصميم مجسم صادق التقط من أعلى قبل إسقاط القصر.

■ وبهذه النتائج أنهيت دراستي ليس بشكل نهائي بل هناك عدت دراسات حول الوعدة لازالت باقية مثال للتضامن الاجتماعي و قوة الأثنيات إلى آخره تبقى لمن يهمله أمر هذا النوع من الدراسات من الناحية الأنثروبولوجية.

جدول المخبريين

عدد المخبرين	الاسم	السن	مهنته
01	عبد الصمد	36	تاجر
02	محمد الخال	50	تاجر و خريج جامعي (مهندس)
03	عمي بن علي	93	متقاعد و مجاهد
04	محمد	61	متقاعد و مؤذن في المسجد
05	الوالد	62	متقاعد
06	الوالدة	50	ماكثة في البيت
07	عمي بوتخيل	60	متقاعد
08	عبد السلام	28	عامل
09	فراجي	37	مختص في فرقة الفلكلور
10	الجدة م	73	ماكثة في البيت
11	أخت الجدّة ف	77	ماكثة في البيت

دليل المقابلة

رقم المخبر:

الاسم:

السن:

المهنة:

- ✓ لأي عرش نسبك؟
- ✓ هل سبق لك و أن شاركت في الوعدة؟
- ✓ في أي مجال شاركت ؟
- ✓ ما الأمر الذي تؤيده و تجذبك له الوعدة ؟
- ✓ ما هو المقدس قي هذه الوعدة ؟
- ✓ ما هو الأمر المدنس في هذه الوعدة؟
- ✓ ما هو الشعور الذي ينتابك وأنت تمارس طقوس هذه الوعدة؟
- ✓ أي لغة تتكلمها في مرحلة الموسيقى؟
- ✓ ما نوعية الأحصنة التي يتم امتطانها ؟
- ✓ ما نوع المسقى التي تعرض في هذه الوعدة ؟
- ✓ هل لكي دور في هذه الوعدة؟
- ✓ في سابق كيف كان دورقي في هذه الوعدة؟
- ✓ هل بقيت العادات و نفس التقاليد ؟ ما هو المقدس بنسب لكم في هذه الوعدة؟
- ✓ ما المدنس في هذه الوعدة؟
- ✓ ما هو رأيك في ممارسات طقوس في وعدة؟



ركوب الخيل

ضريح الشريف سيدي بوطخيل بالرباوات - البيض



ضريح الولي الصالح الشريف سيدي محمد بن الحسن
بن شعيب المشهور بسيدي ابودخيل القادري
دفين الرباوات



مقام الولي سيدي بوطخيل بالرباوات



اكله الوعدة (الوليمة)
الكسكس



أصحاب البارود



مقام الوالی الصالح سیدی بوتخیل بالعین

الصفراء

قائمة المراجع

Français :

- Cloud levis Strauss. Anthropologie Structural Plon-Paris 1997
- Georges Blondi, Sem et puissamment Ed, per-F Paris 2ein E18B -1981
- Malinovski Bromirlove-Les argumentes des pocijiaue oscillent, Paris Edition erelltred 1963 p 63.
- BEL Alfred « islam mystique » revue Africaine n69-op-cit-pp74.
- Clément Ales, Architecture et anthropologie, in espaces des autres, paris les editoin de la villette1987 P20. LAKJAA ABDELKADAR.
- Gaston Bachelard, la formation de l'esprit scientifique, paris, librairie philosophique, 1965
- KH.Benamara :La Sage des Boubekrai (T.L).Djoudi.Oran2002 p 72-78
- 2 O.Dpepont et X.Cappolani : Les Confreies Religieusem Musulmanes A. Jourda -Alger-1897 p 176.
- C. Truemlle .les français dans le désert calame Aine-paris- 1885 p55-56.
- Monographie49 : Document anonyme de L'administration française nomme aussi « Histoire du Cercle d'Ain safra » revu et enrichi périodiquement ; L'ultime mise a jour nouspraissant être en 1949 . nous lui avons donne ce nom-25 p 21-27 dactylographiées.
- A Giacobetti : Kitab En Nasab (genealogie des Chorfa) Adolphe Jourdan -1906- Alger p 173-180.
- Histoire drs Tribus de L Oranie – 1856- (manuscrit) Microfilm reg . 10H53.archives du G.G.A – WILAYA D Orran et Archives d Outre – M.
- A Giacobetti : Kitab En Nasab (genealogie des Chorfa) Adolphe Jourdan -1906- Alger p 173-180.
- acroix et De la Martiere :Documents pour servie a L etudedu nord-ouost africain – L Danel Lille (France)-1896 p 54.
- DOUTTE- E- Les Marabouts « Extrait de la Revue de l Histoire de Religions editee en 1900 par ERNEST LEROUX «'paris » editoin Alger livers (G.A.L° Alger-2008 –p08.

Bel Alfred, « Islam mystique », Revue Africaine, n=68, année 1927, OPU, Alger, pp347, 364.

العربية:

- باصي روني. أبحاث في الدين الأمازيغي. مذكرة بووشمة عبد الهدي ص 84
- لفي ستروس. الأناسة البنيوية. ترجمة حسن قيس. المغرب. المركز الثقافي العربي. ط1995 ص24.
- ما قاله ف. ريستون . كتاب نسب الاشراف و شرفة الجنوب الغربي خليفي بن عمارة . مكتبة النصر العين صفراء. ص 113.
- كل هذا مأخوذ من الأعمال التي توفرت لنا من كتاب النسب الشرف وشرفة الجنوب الغربي-تاريخ واثوغرافية الجنوب الغربي -مقتطفات-- . استاد خليفة بن عمارة. مكتبة النصر عين صفراء. وترجمة-لعربي بوداود. عمير -دار جودي - وهران 2011 ص 113 الى 123 و التمثل فيما يلي: KH.Benamara :La Sage des Boubekrai (T.L).Djouidi.Oran2002 p 72-78
- بن بكار -بلهشمي- كتاب رياض النزهة على منظومة نسيمات الرياح الجنة في الفضائل أهل البيت و أولياء الله و أدكار كتاب و السنة - مجموعة الحسب و نسب و الفضائل تاريخ الادب في أربع كتب- مطبعة -ابن خلدون- تلمسان . ص133-143 1961.
- مخطوط القايد مجهول 4ص 16*21 مستخرج من دفتر الأرشيف واحد من أعيان أولاد سيدي بو دخيل في منتصف القرن.
- حشلاف (عبد الله بن محمد بن الشارف بن علي) -سلسلة أصول في شجرة أبناء الرسول - المطبعة تونس ية -تونس -1929 ص 266-273.
- الشبانانيري (أحمد) -مصباح البشرية في أبناء خير البشرية - مكتبة أحمد الغزالي في الدكالة -مراكش(المغرب)-1987 ص 66-67.
- ابن خلدون (عبد الرحمن)، كتاب العبر و ديوان المبتدا و الخبر في ايام العرب و العجم و البربر، دار الكتب، بيروت، 1981، ص14.
- عدل سابقا من قبل ابو ايوب في الأحد مارس 25, 2012 4:51 pm مرات شبكات الانترنت منتدى جلفة.
- الأعمال التي توفرت لنا عن ادموند دوتي روني باصي و ألفريد بال سنذكرها تبعا: أنظر في هذا السياق أعمال كل من. مأخوذ من مذكرة بووشمة الهادي -طقوس الوعدة في الجزائر - 2004-2005 ص 57 الى 61.
- دوتي ادموند.مراكش.ت. حزل عبد لبرحيم منشورات مرسوم. الرباط2011 ص 70-72
- باصي روني. أبحاث في الدين الأمازيغي . ت . بوشخار حمو. سلسلة دفاتر وجهة النظر. مطبعة النجاح الجديدة. الرباط2012 ص 12-27-68.

الخاتمة العامة

تعد الوعدة من أصعب المواضيع في حقل علم الانتروبولوجيا لما تحمله من أسرار مبهمة يصعب على العقل البشري تفكيكها . اذ تعد دراستي اقتصرت على ما هو مقدس و ما هو مدنس في الوعدة فأبرزت التمرسات و التمثلات في النموذج الذي اخترته وهو وعدة سدي بوتخيل بمنطقة العين الصفراء وذلك اعتمادا على الكتابة الانتروبولوجيا و التي تعتمد ثلاث مراحل متمثل في قوة الوصف ثم الفهم و بعدها التحليل و التأويل.

رغم صعوبة المهم إلا أن قد لمست ما يجب عليا إظهاره بهذا العمل المتواضع و باعتبار أن الانتروبولوجيا تبحث في الإنسان كما هو وليس كما يجب أن يكون . فقد رسمت مخيلة ما لحظته و ما استقصيته من مخبري للاقتراب أكثر و أكثر من مقدس هذه الوعدة و مدنسها فأبرزت عدة طقوس و عدة من ما قبل انطلاقها إلى ما بعد انتهائها و لكي أكون منصفاً حولت كذلك أن ابرز دور المرأة و ما تلعبه في هذه الوعدة ولم أهتمش حتى الطريقة الصوفية و حولت أن ابرز الاختلاف الموجود بين وعدات المنطقة بذكر ركب أولاد سيد الشيخ و حتى العودة الى المدرسة الكولونيالية و ذلك لمعالجة الوعدة من فترات زمانية قبل الاسلامة و بعد الاسلامة و نظرتة بصفة كلية من المقدس إلى المدنس للوعدة ولأبقى في عالم الانتروبولوجيا حضارية عالجت حتى الموقع مقام الولي الصالح بطريقة معمارية حضارية

و في الأخير أتمنى أن أكون قد عالجت هد الموضوع بطريقة انتروبولوجية
على الرغم من أن أعلم أنني انتروبولوجي مبتدأ مزال يتعلم في عالم
الانتروبولوجيا حضارية.